مكانة
العلم والعلماء

إعداد

محمد بن عمر بازمول

(عضو هيئة التدريس بجامعة أم القرى، كلية الدعوة وأصول الدين، قسم الكتاب والسنة)

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله، نحمده، و نستعينه ، و نستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له. وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ﷺ .

يَاأَيُّهَا الّذِينَ آمَنُواْ اتّقُواْ اللّهَ حَقّ تُقَاتِهِ وَلاَتَمُوتُنّ إِلاّ وَأَنْتُمْ مّسْلِمُونَ

يَاأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوْا رَبَّكُمُ الَّذِيْ خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَآءً وَاتَّقُوْا اللَّهَ الَّذِيْ تَسَآءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيْباً

يَاأَيُّهَا الّذِينَ آمَنُواْ اتّقُواْ اللّهَ وَقُولُواْ قَوْلاً سَدِيداً . يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً .

ألا وإن أصدق الكلام كلام الله، وخير الهدي هدي محمد، وشرّ الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

أمّـــا بعد: فهذا كتاب في بيان "مكانة العلم والعلماء"، قسمته على خمسة مقاصد، وقدمت بين يديه مقدمة وفي آخره خاتمة، وأقسامه هي التالية :

المقصد الأول : المسائل الأربع التي يجب على المسلم تعلمها.

المقصد الثاني : أهمية العلم في الكتاب والسنة.

المقصد الثالث : مكانة العلماء وأهمية الرجوع إليهم وبيان الأدلة على ذلك من الكتاب والسنة.

المقصد الرابع : حقيقة منهج علماء هذه البلاد والرد على الشبهات التي تلصق بهم.

المقصد الخامس : من له حق الفتوى وخطر الإفتاء بغير علم.

هذا وأسأل الله تعالى التوفيق والهدى والرشاد والسداد.

المقصد الأول

المسائل الأربع التي يجب على المسلم تعلمها.

اعلم وفقني الله و إياك أنه [يجب علينا أربع مسائل:

الأولى : العلم . وهو : معرفة الله، ومعرفة نبيه، ومعرفة دين الإسلام بالأدلة.

الثانية : العمل به .

الثالثة : الدعوة إليه .

الرابعة : الصبر على الأذى فيه.

والدليل قوله تعالى : بسم الله الرحمن الرحيم ﴿وَالْعَصْرِ{١} إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ{٢} إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ{٣}﴾.

قال الشافعي رحمه الله تعالى: "لو ما أنزل الله حجة على خلقه إلا هذه السورة لكفتهم".

وقال البخاري رحمه الله تعالى : باب : العلم قبل القول والعمل، والدليل قوله تعالى : ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ﴾ (محمد: من الآية١٩) فبدأ بالعلم، قبل القول والعمل][1].

(١) ما بين معقوفتين من كلام الإمام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله، الدرر السنية (١/١٢٥).

المقصد الثاني

أهمية العلم في الكتاب والسنة[1]

لا يخفى على كل مسلم أن العلم مهم، حتى إن كل إنسان يدعيه لنفسه حتى الجاهل لا يرضى أن يقال عنه جاهل، ويفرح أن يقال عنه عالم!

قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: "كفى بالعلم شرفاً أن يدعيه من لا يحسنه ويفرح به إذا نسب إليه وكفى بالجهل ذمًّا أن يتبرأ منه من هو فيه"[2].

وكيف يخفى فضل العلم والعلماء على المسلم وهو يقرأ قوله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ (الزمر: من الآية٩)، وهو يسمع قوله تعالى: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِماً بِالْقِسْطِ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (آل عمران:١٨)؛ فقرن سبحانه بين شهادة أولي العلم والملائكة بشهادته سبحانه وتعالى؟!

كيف لا يعرف المسلم فضل طلب العلم حينما يسمع ما جاء عَنْ قَيْسِ بْنِ كَثِيرٍ قَالَ: قَدِمَ رَجُلٌ مِنْ الْمَدِينَةِ عَلَى أَبِي الدَّرْدَاءِ وَهُوَ بِدِمَشْقَ فَقَالَ: مَا أَقْدَمَكَ يَا أَخِي؟ فَقَالَ: حَدِيثٌ بَلَغَنِي أَنَّكَ تُحَدِّثُهُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: أَمَا جِئْتَ لِحَاجَةٍ؟ قَالَ: لَا قَالَ: أَمَا قَدِمْتَ لِتِجَارَةٍ قَالَ: لَا قَالَ: مَا جِئْتُ إِلَّا فِي طَلَبِ هَذَا الْحَدِيثِ؟ قَالَ: فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: "مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَبْتَغِي فِيهِ عِلْمًا سَلَكَ اللَّهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ وَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ لَتَضَعُ أَجْنِحَتَهَا رِضَاءً لِطَالِبِ الْعِلْمِ وَإِنَّ الْعَالِمَ لَيَسْتَغْفِرُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ حَتَّى الْحِيتَانُ فِي الْمَاءِ وَفَضْلُ الْعَالِمِ عَلَى الْعَابِدِ كَفَضْلِ الْقَمَرِ عَلَى سَائِرِ الْكَوَاكِبِ إِنَّ الْعُلَمَاءَ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ إِنَّ الْأَنْبِيَاءَ لَمْ يُوَرِّثُوا دِينَارًا وَلَا دِرْهَمًا إِنَّمَا وَرَّثُوا الْعِلْمَ فَمَنْ أَخَذَ بِهِ أَخَذَ بِحَظٍّ وَافِرٍ"[3] .

---

(١) لابن عبدالبر كتاب مفرد في ذلك، وهو "جامع بيان العلم وفضله"، وفي الجوامع والسنن كتباً مفردة عن العلم وفضله وأدبه، وما هنا شذرات فقط مما هنالك.

(٢) تذكرة السامع والمتكلم ص١٠.

(٣) أخرجه أحمد (الميمنية – ١٩٦/٥)، والترمذي في أبواب العلم، باب ما جاء في فضل الفقه على العبادة، حديث رقم (٢٦٨٢)، وأبوداود في كتاب العلم، باب الحث على طلب العلم، حديث رقم (٣٦٤١)، وابن ماجه، في المقدمة، باب فضل العلماء والحث على طلب العلم، تحت رقم (٢٢٣)، والدارمي في مسنده (سننه) في =

وما جاء عَنْ أَبِي أُمَامَةَ الْبَاهِلِيِّ قَالَ: "ذُكِرَ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَجُلَانِ أَحَدُهُمَا عَابِدٌ وَالْآخَرُ عَالِمٌ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: فَضْلُ الْعَالِمِ عَلَى الْعَابِدِ كَفَضْلِي عَلَى أَدْنَاكُمْ. ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ وَأَهْلَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرَضِينَ حَتَّى النَّمْلَةَ فِي جُحْرِهَا وَحَتَّى الْحُوتَ لَيُصَلُّونَ عَلَى مُعَلِّمِ النَّاسِ الْخَيْرَ"(١).

وما جاء عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "طَلَبُ الْعِلْمِ فَرِيضَةٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ"(٢).

بل كيف يشك في ضرورة العلم الشرعي فيما يحتاجه المسلم في حياته، وهو يدين بدين يقوم على قاعدتين :

=

المقدمة، باب في فضل العلم والعالم، تحت رقم (٣٥٤)، وابن حبان في صحيحه (الإحسان ٢٨٩/١، تحت رقم ٨٨). وأورد البخاري في كتاب العلم باب العلم قبل القول والعمل، قوله في الحديث: " إِنَّ الْعُلَمَاءَ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ إِنَّ الْأَنْبِيَاءَ لَمْ يُوَرِّثُوا دِينَارًا وَلَا دِرْهَمًا إِنَّمَا وَرَّثُوا الْعِلْمَ فَمَنْ أَخَذَ بِهِ أَخَذَ بِحَظٍّ وَافِرٍ"، ولم يصرح بنسبته إلى الرسول ﷺ، لهذا لا يعد من تعاليقه.

والحديث قال عنه الترمذي: "وَلَا نَعْرِفُ هَذَا الْحَدِيثَ إِلَّا مِنْ حَدِيثِ عَاصِمِ بْنِ رَجَاءِ بْنِ حَيْوَةَ وَلَيْسَ هُوَ عِنْدِي بِمُتَّصِلٍ هَكَذَا حَدَّثَنَا مَحْمُودُ بْنُ خِدَاشٍ هَذَا الْحَدِيثَ، وَإِنَّمَا يُرْوَى هَذَا الْحَدِيثُ عَنْ عَاصِمِ بْنِ رَجَاءِ بْنِ حَيْوَةَ عَنْ دَاوُدَ بْنِ جَمِيلٍ عَنْ كَثِيرِ بْنِ قَيْسٍ عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهَذَا أَصَحُّ مِنْ حَدِيثِ مَحْمُودِ بْنِ خِدَاشٍ وَرَأْيُ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْمَاعِيلَ هَذَا أَصَحُّ"اهـ، وقال محقق صحيح ابن حبان: "إسناده ضعيف لضعف داود بن جميل، ويقال : الوَلِيد بن جميل، وكثير بن قيس، ويقال: قيس بن كثير"اهـ، وكذا ضعفه محقق مسند الدارمي، وقال ابن حجر في فتح الباري (١٦٠/١) تعليقاً على هذه الفقرة: "طرف من حديث أخرجه أبوداود، والترمذي، وابن حبان، والحاكم مصححاً من حديث أبي الدرداء، وحسنه الكناني، وضعفه غيرهم بالاضطراب في سنده، لكن له شواهد يتقوى بها"اهـ وقال الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (١٣٩/١، الحديث رقم ٧٠) : "ومدار الحديث على داود بن جميل عن كثير بن قيس، وهما مجهولان، لكن أخرجه أبوداود من طريق أخرى عن أبي الدرداء بسند حسن"اهـ، قلت: وداود بن جميل ضعيف وكثير بن قيس ضعيف كما في التقريب، والطريق التي يشير إليها الألباني هو ما ذكره أبوداود عقب سياقه للحديث بالسند الذي من طريق داود بن جميل عن قيس، فقد قال أبوداود عقبه: "حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْوَزِيرِ الدِّمَشْقِيُّ حَدَّثَنَا الْوَلِيدُ قَالَ: لَقِيتُ شَبِيبَ بْنَ شَيْبَةَ فَحَدَّثَنِي بِهِ عَنْ عُثْمَانَ بْنِ أَبِي سَوْدَةَ عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ يَعْنِي عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِمَعْنَاهُ"اهـ، وهذا السند ذكره أيضاً محقق الإحسان وقال عنه: "هذا سند حسن في الشواهد فيتقوى الحديث به"اهـ. قلت: شبيب بن شيبة صدوق يهم في الحديث، كما في التقريب، ولم يُعد هذا في أوهامه، فالحديث بهذا السند حسن كما قال الألباني، وقد توبع شبيب كما رأيت في السند متابعة قاصرة في الصحابي، تابعه داود بن جميل، وللحديث شواهد منها حديث أبي أمامة وسيأتي قريباً وفي الحديث قصة، وهذا مما يساعد على ثبوته، والله أعلم.

(١) أخرجه الترمذي في كتاب العلم باب ما جاء في فضل الفقه على العبادة، حديث رقم (٢٦٨٦)، وأخرجه الدارمي في مقدمة سننه (٣٣٤/١)، حديث رقم (٣٩٧) مرسلاً عن مكحول عن رسول الله ﷺ بنحوه، وعن أبي أمامة أخرجه الطبراني في الكبير (٢٧٨/٨، تحت رقم ٧٩١١)، وقال الترمذي: "هذا حديث حسن غريب صحيح"، وأشار إلى حسنه محقق سنن الدارمي، والحديث إسناده حسن.

(٢) أخرجه ابن ماجه في المقدمة باب فضل العلماء، والحث على طلب العلم، حديث رقم (٢٢٤).

- ألاَّ يعبد إلا الله.

- وألاَّ يعبد الله إلا بما شرع.

وهما حقيقة كلمة التوحيد: "أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله"؛ فتحقيق كلمة التوحيد لابد فيه من العلم الشرعي الذي يحتاجه لتحقيقها، إذ كيف يحقق المسلم الأصل الثاني وهو ألاَّ يعبد الله إلا بما شرع بدون أن يطلب العلم، ولذلك كان العلم قبل القول والعمل، وهذا المعنى ترجم له البخاري رحمه الله في صحيحه فقال في كتاب العلم: "بَابٌ الْعِلْمُ قَبْلَ الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ لِقَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾؛ فَبَدَأَ بِالْعِلْمِ.

وَأَنَّ الْعُلَمَاءَ هُمْ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ وَرَّثُوا الْعِلْمَ؛ مَنْ أَخَذَهُ أَخَذَ بِحَظٍّ وَافِرٍ.

وَمَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَطْلُبُ بِهِ عِلْمًا سَهَّلَ اللَّهُ لَهُ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ.

وَقَالَ جَلَّ ذِكْرُهُ: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾. وَقَالَ: ﴿وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ﴾ ﴿وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ وَقَالَ: ﴿هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾.

وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: "مَنْ يُرِدْ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ" وَ "إِنَّمَا الْعِلْمُ بِالتَّعَلُّمِ"

وَقَالَ أَبُو ذَرٍّ: "لَوْ وَضَعْتُم الصَّمْصَامَةَ عَلَى هَذِهِ -وَأَشَارَ إِلَى قَفَاهُ- ثُمَّ ظَنَنْتُ أَنِّي أُنْفِذُ كَلِمَةً سَمِعْتُهَا مِنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَبْلَ أَنْ تُجِيزُوا عَلَيَّ لَأَنْفَذْتُهَا".

وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: "كُونُوا رَبَّانِيِّينَ حُلَمَاءَ فُقَهَاءَ" وَيُقَالُ: الرَّبَّانِيُّ الَّذِي يُرَبِّي النَّاسَ بِصِغَارِ الْعِلْمِ قَبْلَ كِبَارِهِ".

المقصد الثالث

مكانة العلماء وأهمية الرجوع إليهم وبيان الأدلة على ذلك من الكتاب والسنة.

للعلماء فضائل كثيرة وردت في القرآن العظيم والسنة النبوية، والله سبحانه وتعالى يقول: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِداً وَقَائِماً يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ (الزمر:٩).

فمن فضائلهم :

١ــ أنه لصبرهم وتقواهم كانت لهم الإمامة في الدين:

قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكاً قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ (البقرة:٢٤٧) .

فبين لهم نبيهم عليه الصلاة والسلام أن الله اصطفاه عليهم ونوّه إلى اتصافه بالبسط في العلم والجسم، ففي هذا إشارة إلى أن ذلك من أوصاف من يكون قائداً .

﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾ (السجدة:٢٤).

قال ابن تيمية رحمه الله : "جعل الإمامة في الدين موروثة عن الصبر واليقين بقوله في السجدة: ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾ فإن الدين كله علم بالحق وعمل به فالعمل به لا بد فيه من الصبر بل وطلب علمه يحتاج إلى الصبر، كما قال معاذ بن جبل: " عليكم بالعلم؛ فإن طلبه لله عبادة. ومعرفته خشية، والبحث عنه جهاد، وتعليمه لمن لا يعلمه صدقة، ومذاكرته تسبيح، به يُعرف الله ويُعبد، به يُمجد ويُوحد، يرفع الله بالعلم أقوامًا يجعلهم للناس قادة وأئمة يهتدون بهم وينتهون إلى رأيهم"[(١)]؛

(١) علقه الآجري رحمه الله في كتابه أخلاق العلماء ص٣٤، وصدره بقوله: "روي عن معاذ بن جبل رضي الله عنه"اهـــ، وأسنده عن معاذ في حلية الأولياء (٢٣٩/١) في سياق طويل، وابن عبدالبر في جامع بيان العلم وفضله (٥٥/١)، بسند من طريق أبي عصمة عن رجل سماه عن رجاء"، وهذا أثر سنده سند موضوع فيه أبو عصمة نوح بن أبي مريم كذاب، والرجل مبهم. ورواه ابن عبدالبر في جامع بين العلم وفضله (٥٤/١) "عن معاذ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم"، في سياق طويل، وقال: "هو حديث حسن جدًّا، ولكن ليس له إسناد قوي"اهـــ، قلت: في السند عبدالرحيم بن زيد العمي عن أبيه، وعبد الرحيم متروك، ووالده ضعيف =

فجعل البحث عن العلم من الجهاد، ولا بد في الجهاد من الصبر؛ ولهذا قال تعالى: ﴿وَالْعَصْرِ. إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ. إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ (العصر:١ــ٣)، وقال تعالى في ص: ﴿وَاذْكُرْ عِبَادَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولِي الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ﴾ (ص:٤٥)، فالعلم النافع هو أصل الهدى والعمل بالحق هو الرشاد، وضد الأول هو الضلال وضد الثاني هو الغي؛ فالضلال العمل بغير علم. والغي اتباع الهوى.

قال تعالى: ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى. مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى﴾ (النجم:١ــ٢)، فلا ينال الهدى إلا بالعلم. ولا ينال الرشاد إلا بالصبر؛

ولهذا قال علي: ألا إن الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد فإذا انقطع الرأس بان الجسد ثم رفع صوته فقال: ألا لا إيمان لمن لا صبر له[1]"[2] .

وقال رحمه الله: "وَكَلَامُ الْإِمَامِ أَحْمَدَ فِي هَذَا الْبَابِ جَارٍ عَلَى كَلَامِ مَنْ تَقَدَّمَ مِنْ أَئِمَّةِ الْهُدَى لَيْسَ لَهُ قَوْلٌ ابْتَدَعَهُ وَلَكِنْ أَظْهَرَ السُّنَّةَ وَبَيَّنَهَا ؛ وَذَبَّ عَنْهَا وَبَيَّنَ حَالَ مُخَالِفِيهَا وَجَاهَدَ عَلَيْهَا ؛ وَصَبَرَ عَلَى الْأَذَى فِيهَا لَمَّا أُظْهِرَتْ الْأَهْوَاءُ وَالْبِدَعُ ؛ وَقَدْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾ (السجدة:٣٤) فَالصَّبْرُ وَالْيَقِينُ بِهِمَا تُنَالُ الْإِمَامَةُ فِي الدِّينِ. فَلَمَّا قَامَ بِذَلِكَ قُرِنَتْ بِاسْمِهِ مِنْ الْإِمَامَةِ فِي السُّنَّةِ مَا شُهِرَ بِهِ وَصَارَ مَتْبُوعًا لِمَنْ بَعْدَهُ كَمَا كَانَ تَابِعًا لِمَنْ قَبْلَهُ . وَإِلَّا فَالسُّنَّةُ هِيَ مَا تَلَقَّاهُ الصَّحَابَةُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَتَلَقَّاهُ عَنْهُمْ التَّابِعُونَ ثُمَّ تَابِعُوهُمْ إلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَإِنْ كَانَ بَعْضُ الْأَئِمَّةِ بِهَا أَعْلَمَ وَعَلَيْهَا أَصْبَرَ. وَاَللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَعْلَمُ وَأَحْكَمُ. وَاَللَّهُ أَعْلَمُ."اهـ[3].

٢ــ أن طاعتهم من طاعة الله تبارك وتعالى ورسوله ﷺ:

قال الله تبارك وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ

=

كما في التقريب لابن حجر، فالسند ضعيف جدًّا. فالحديث لا يصح موقوفاً و لا مرفوعاً، والله الموفق.

(١) أخرجه أبونعيم في الحلية (١/٧٥ــ٧٦) وفي السند ثابت بن أبي صفية ضعيف رافضي. كما في التقريب.

(٢) التحفة العراقية في الأعمال القلبية ص ٣٥٤ــ ٣٥٦.

(٣) مجموع الفتاوى (٣/٣٥٨).

ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً﴾(النساء:٥٩).

وأولي الأمر هم الأمراء والعلماء.

فطاعة العلماء تبع لطاعة الله ورسوله صلى الله عليه وسلم. وطاعة الأمراء تبع لطاعة العلماء؛ فإن باب الخروج على الأمراء والحكام هو العلماء، فإن أضيع حق العلماء ضاع حق الأمراء، وإذا ضاع حق العلماء والأمراء خرج الناس عليهم؛ فحياة العالِم وصلاحه حياة العالَم وصلاحه! فإذا ضاعت حقوق العلماء ضاعت حقوق الأمراء وإذا ضاعت حقوق العلماء والأمراء فسد العالَم!

٣ــ أن الرد إليهم عند نزول النوازل لما خصّهم الله به من القدرة على الاستنباط:

قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلاً﴾ (النساء:٨٣).

ففي الآية الرجوع إليهم عند نزول النوازل وطلب حكمها، وترك الافتئات عليهم والتقدم عليهم فيها.

وفي الآية أن الرجوع إلى أهل الرأي رد لما أمر الله عزوجل به من الرد إلى العلماء الذين يستنبطونه، لأن أهل الرأي ليسوا من أهل الاستنباط.

٤ــ ومن فضلهم أنه قرنت شهادتهم بشهادة الله تعالى والملائكة:

قال الله تبارك وتعالى: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِماً بِالْقِسْطِ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (آل عمران:١٨).

٥ــ ومن فضلهم أن اتباعهم يهدي إلى الصراط السوي :

قال الله تبارك وتعالى: ﴿يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطاً سَوِيّاً﴾ (مريم:٤٣).

وقال تبارك وتعالى: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ (الأنعام:١٥٣).

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ قَالَ: "خَطَّ لَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَطًّا ثُمَّ قَالَ: هَذَا سَبِيلُ اللَّهِ ثُمَّ خَطَّ خُطُوطًا عَنْ يَمِينِهِ وَعَنْ شِمَالِهِ ثُمَّ قَالَ: هَذِهِ سُبُلٌ مُتَفَرِّقَةٌ عَلَى كُلِّ

سَبِيلٍ مِنْهَا شَيْطَانٌ يَدْعُو إِلَيْهِ ثُمَّ قَرَأَ: ﴿وأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ﴾"[1].

فمن اتبع العلماء اتبع الصراط المستقيم، ومن خالف العلماء وأضاع حقهم فقد خرج إلى سبيل الشيطان، ففارق الصراط المستقيم الذي عليه الرسول صلى الله عليه وسلم وأتباعه.

قال محمد بن الحسين الآجري رحمه الله: "فما ظنكم ـــ رحمكم الله ـــ بطريق فيه آفات كثيرة، ويحتاج الناس إلى سلوكه في ليلة ظلماء فإن لم يكن فيه ضياء وإلا تحيروا فقيـــــض الله لهم فيه مصابيح تضيء لهم فسلكوه على السلامة والعافية، ثم جاءت طبقات من الناس لا بد لهم من السلوك فيه فسلكوا، فبينما هم كذلك إذ طفئت المصابيح فبقوا في الظلمة فما ظنكم بهم! هكذا العلماء في الناس. لا يعلم كثير من الناس كيف أداء الفرائض، ولا كيف اجتناب المحارم، و لا كيف يعبد الله في جميع ما يعبده به خلقه؛ إلا ببقاء العلماء، فإذا مات العالم تحيّر الناس ودرس العلم بموتهم وظهر الجهل، فإنا لله وإنا إليه راجعون، مصيبة ما أعظمها مصيبة"اهـــ[2].

٦ـــ ومن فضلهم أنهم ورثة الأنبياء :

عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ ﷺ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: "مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَبْتَغِي فِيهِ عِلْمًا سَلَكَ اللَّهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ وَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ لَتَضَعُ أَجْنِحَتَهَا رِضَاءً لِطَالِبِ الْعِلْمِ وَإِنَّ الْعَالِمَ لَيَسْتَغْفِرُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ حَتَّى الْحِيتَانُ فِي الْمَاءِ وَفَضْلُ الْعَالِمِ عَلَى الْعَابِدِ كَفَضْلِ الْقَمَرِ عَلَى سَائِرِ الْكَوَاكِبِ إِنَّ الْعُلَمَاءَ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ إِنَّ الْأَنْبِيَاءَ لَمْ يُوَرِّثُوا دِينَارًا وَلَا دِرْهَمًا إِنَّمَا وَرَّثُوا الْعِلْمَ فَمَنْ أَخَذَ بِهِ أَخَذَ بِحَظٍّ وَافِرٍ"[3].

قال أبو حاتم بن حبان رضي الله عنه: "في هذا الحديث بيان واضح أن العلماء الذين لهم الفضل الذي ذكرنا هم الذين يعلمون علم النبي صلى الله عليه وسلم دون غيره من

---

(١) أخرجه الطيالسي في مسنده ص٣٣، تحت رقم (٢٤٤)، وأحمد في المسند (٤٣٥/١)، والدارمي في السنن (٢٨٥/١، تحت رقم ٢٠٨)، وابن حبان في صحيحه (الإحسان ١٨١/١، تحت رقم ٧)، والحاكم (علوش ٦١٧/٢، تحت رقم ٢٩٩٢، ٤٦/٣ـــ٤٧، تحت رقم ٣٢٩٤). والحديث صححه ابن حبان والحاكم، وحسنه محقق الإحسان، ومحقق سنن الدارمي.

(٢) أخلاق العلماء للآجري ص٢٨ـــ٢٩.

(٣) حديث حسن، سبق تخريجه.

سائر العلوم ألا تراه يقول العلماء ورثة الأنبياء والأنبياء لم يورثوا إلا العلم وعلم نبيـــــنا صلى الله عليه وسلم سنته فمن تعرى عن معرفتها لم يكن من ورثة الأنبياء"اهـــ[1].

قال ابن القيم رحمه الله: "قوله: "إن الأنبياء لم يورثوا دينارًا ولا درهمًا وأورثوا العلم" هذا من كمال الأنبياء وعظم نصحهم للأمم وتمام نعمة الله عليهم وعلى أممهم أن أزاح جميع العلل وحسم جميع المواد التي توهم بعض النفوس أن الأنبياء من جنس الملوك الذين يريدون الدنيا وملكها فحماهم الله سبحانه وتعالى من ذلك أتم الحماية. ثم لما كان الغالب على الناس أن أحدهم يريد الدنيا لولده من بعده ويسعى ويتعب ويحرم نفسه لولده سد هذه الذريعة عن أنبيائه ورسله وقطع هذا الوهم الذي عساه أن يخالط كثيرًا من النفوس التي تقول: فلعله إن لم يطلب الدنيا لنفسه فهو يحصلها لولده فقال: "نحن معاشر الأنبياء لا نورث ما تركنا هو صدقة"، فلم تورث الأنبياء دينارًا ولا درهمًا وإنما ورثوا العلم.

وأما قوله تعالى: ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ﴾ (النمل:١٦).

فهو ميراث العلم والنبوة لا غير وهذا باتفاق أهل العلم من المفسرين وغيرهم وهذا لأن داود عليه السلام كان له أولاد كثيرة سوى سليمان فلو كان الموروث هو المال لم يكن سليمان مختصًّا به، وأيضًا فإن كلام الله يصان عن الإخبار بمثل هذا فإنه بمنزلة أن يقال: مات فلان وورثه ابنه ومن المعلوم أن كل أحد يرثه ابنه وليس في الإخبار بمثل هذا فائدة، وأيضا فإن ما قبل الآية وما بعدها يبين أن المراد بهذه الوراثة وراثة العلم والنبوة لا وراثة المال قال تعالى:﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ عِلْماً وَقَالا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَى كَثِيرٍ مِنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ. وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ﴾ (النمل:١٥ــ١٦). وإنما سيق هذا لبيان فضل سليمان وما خصه الله به من كرامته وميراثه ما كان لأبيه من أعلى المواهب وهو العلم والنبوة ﴿إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ﴾ (النمل:١٦).

وكذلك قول زكريا عليه الصلاة والسلام: ﴿وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِنْ وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِراً فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيّاً يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيّا﴾ (مريم:٥ــ٦)؛ فهذا ميراث العلم والنبوة والدعوة إلى الله وإلا فلا يظن بنبي كريم أنه يخاف عصبته أن يرثوه ماله فيسأل الله العظيم ولدًا يمنعهم ميراثه ويكون أحق به منهم وقد نزه

(١) الإحسان بتقريب صحيح ابن حبان (٢٩٥/١، تحت رقم ٨٨).

الله أنبياءه ورسله عن هذا وأمثاله فبعدًا لمن حرف كتاب الله ورد على رسوله كلامه ونسب الأنبياء إلى ما هم برآء مُنـــزهون عنه والحمد لله على توفيقه وهدايته" اهـــ[1].

فالعلماء ورثوا العلم فبه يسوسون العباد والبلاد والممالك فموتهم فساد لنظام العالم.

٧ــ أنهم ممن أراد الله عز وجل بهم الخير.

عن معاوية رضي الله عنه، قَالَ رَسُول اللّه صَلى اللّه عَلَيْهِ وَسَلَّمْ: "من يرد اللّه بِهِ خيراً يفقهه فِي الدين"[2].

فالعالم ممن أراد الله به خيراً.

والعلماء ثلاثة : عالم بالله وبأمره. عالم بالله غير عالم بأمره. عالم بأمره غير عالم به.

وقال علي بن خشرم: سمعت ابن عيينة يقول: قال بعض الفقهاء: كان يقال العلماء ثلاثة:

عالم بالله

عالم بأمر الله

وعالم بالله وبأمر الله

وأما العالم بأمر الله فهو الذي يعلم السنة ولا يخاف الله. وأما العالم بالله فهو الذي يخاف الله ولا يعلم السنة. وأما العالم بالله وبأمر الله فهو الذي يعلم السنة ويخاف الله فذاك يُدعى عظيمًا في ملكوت السموات"[3] .

٨ــ إن الله وملائكته وأهل السموات والأرضين يصلون على معلم الناس الخير:

عَنْ أَبِي أُمَامَةَ الْبَاهِلِيِّ قَالَ: "ذُكِرَ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَجُلَانِ أَحَدُهُمَا عَابِدٌ وَالْآخَرُ عَالِمٌ فَقَالَ: رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: فَضْلُ الْعَالِمِ عَلَى الْعَابِدِ كَفَضْلِي عَلَى أَدْنَاكُمْ. ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ وَأَهْلَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرَضِينَ حَتَّى النَّمْلَةَ فِي جُحْرِهَا وَحَتَّى الْحُوتَ لَيُصَلُّونَ عَلَى مُعَلِّمِ النَّاسِ

(١) مفتاح دار السعادة (١/٦٦ــ٦٧).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب العلم، باب من يرد الله به خيراً، حديث رقم (٧١)، ومسلم في كتاب الزكاة باب النهي عن المسألة، حديث رقم (١٠٣٧).

(٣) حلية الأولياء (٧/٢٨٠)، شعب الإيمان (٤/٤٧٧، تحت رقم ١٧٧٤).

الْخَيْرَ"[1].

قال الْفُضَيْلُ بْنُ عِيَاضٍ: "عَالِمٌ عَامِلٌ مُعَلِّمٌ يُدْعَى كَبِيرًا فِي مَلَكُوتِ السَّمَوَاتِ"[2].

٩ــ أن العالم لا ينقطع عمله ما بقي علمه ينتفع به الناس.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "إِذَا مَاتَ الْإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَنْهُ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثَةٍ إِلَّا مِنْ صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ"[3].

والحديث يدل على أن عمل العالم والثواب عليه لا ينقطع بمجرد موته مادام الناس ينتفعون بعلمه، وهذا يشمل ما خلفه من تعليم علمه للناس، وما خلفه من تصانيف ينتفع بها الناس، ويشمل في زماننا ما في حكم التصانيف من دروس وفتاوى مسجلة.

أهمية الرجوع إلى العلماء:

قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلاً﴾ (النساء:٨٣).

ففي الآية الرجوع إليهم عند نزول النوازل وطلب حكمها، وترك الافتئات عليهم والتقدم عليهم فيها.

وفي الآية أن الرجوع إلى أهل الرأي رد لما أمر الله عزوجل به من الرد إلى العلماء الذين يستنبطونه، لأن أهل الرأي ليسوا من أهل الاستنباط.

فإصدار البيانات العامة والخطابات العامة في النوازل لا يفتأت فيه عليهم بل لابد من الرجوع إليهم، فإن هذا من حقهم.

قال الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي رحمه الله تعالى عند تفسيره للآية الكريمة السابقة: "هذا تأديب من الله لعباده عن فعلهم هذا غير اللائق، وأنه ينبغي لهم إذا جاءهم أمر من الأمور المهمة والمصالح العامة، ما يتعلق بالأمن، وسرور المؤمنين، أو بالخوف الذي فيه مصيبة عليهم أن يتثبتوا، ولا يستعجلوا بإشاعة ذلك الخبر؛ بل يردونه إلى الرسول وإلى

---

(١) حديث حسن. سبق تخريجه.

(٢) أخرجه الترمذي في سننه في كتاب العلم باب فضل الفقه على العبادة.

(٣) أخرجه مسلم في كتاب الوصية باب ما يلحق الإنسان من الثواب بعد وفاته، حديث رقم (١٦٣١).

أولي الأمر منهم: أهل الرأي والعلم والنصح والعقل والرزانة، الذين يعرفون الأمور، ويعرفون المصالح وضدها.

فإن رأوا في إذاعته مصلحة ونشاطًا للمؤمنين وسرورًا لهم وتحرزًا من أعدائهم؛ فعلوا ذلك. وإن رأوا ما فيه مصلحة، أو فيه مصلحة ولكن مضرته تزيد على مصلحته؛ لم يذيعوه؛ ولهذا قال: ﴿لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ﴾ أي: يستخرجونه بفكرهم وآرائهم السديدة، وعلومهم الرشيدة.

وفي هذا دليل لقاعدة أدبية، وهي أنه إذا حصل بحث في أمر من الأمور، ينبغي أن يولى من هو أهل لذلك ويجعل إلى أهله، ولا يتقدم بين أيديهم فإنه أقرب إلى الصواب وأحرى للسلامة من الخطأ.

وفيه النهي عن العجلة والتسرع لنشر الأمور من حين سماعها.

والأمر بالتأمل قبل الكلام والنظر فيه هل هو مصلحة فيقدم عليه الإنسان أم لا فيحجم عنه.

ثم قال : ﴿وَلَوْلا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ﴾ أي: في توفيقكم وتأديبكم، وتعليمكم ما لم تكونوا تعلمون. ﴿لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلاً﴾ لأن الإنسان بطبعه ظالم جاهل، فلا تأمره نفسه إلا بالشر، فإذا لجأ إلى ربه واعتصم به واجتهد في ذلك لطف به ووفقه لكل خير وعصمه من الشيطان الرجيم"اهـ[1].

وترك الرجوع إلى العلماء فيه ضياع لحق العلماء، وهذا يترتب عليه أضرار كثيرة:

منها : حلول الذل والهوان على الأمة، يوضح ذلك الحديث الذي جاء عَنْ ابْنِ عُمَرَ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: "إِذَا تَبَايَعْتُمْ بِالْعِينَةِ وَأَخَذْتُمْ أَذْنَابَ الْبَقَرِ وَرَضِيتُمْ بِالزَّرْعِ وَتَرَكْتُم الْجِهَادَ سَلَّطَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ ذُلًّا لَا يَنْزِعُهُ حَتَّى تَرْجِعُوا إِلَى دِينِكُمْ"[2].

---

(١) تفسير ابن سعدي (تيسير الكريم الرحمن) الطبعة التي على هامش القرآن العظيم ص١٩٠. وقارن بمحاسن التأويل للقاسمي (٥/٣٢٤ــ٣٢٦).

(٢) أخرجه أحمد في المسند (الرسالة٨/٤٤٠، تحت رقم ٤٨٢٥، ٩/٥١، تحت رقم ٥٠٠٧، ٩/٣٩٥، تحت رقم ٥٥٦٢)، وأبوداود في كتاب البيع باب في النهي عن العينة، حديث رقم (٣٤٦٢)، وأبويعلى في المسند (١٠/٢٩، تحت رقم ٥٦٥٩)، والبيهقي في السنن الكبرى (٥/٣١٦). والحديث ضعفه محققو المسند، وأشار إلى حسنه محقق مسند أبي يعلى، وصححه الألباني لمجموع طرقه فقد أورده في السلسلة الصحيحة حديث رقم (١١). وللحديث شاهد عن ابن مسعود مرفوعاً: "لا تتخذوا الضيعة فترغبوا في الدنيا" أخرجه أحمد (الرسالة =

و لا طريق للناس إلى الرجوع إلى الدين إلا بالعلماء. فإذا أضاعوا حق العلماء وما عادوا يعرفونهم وزهدوا فيهم واتخذوا رءوساً جهالاً كيف يرجعون إلى الدين؟

والدين هو ما جاء في حديث جبريل لما ذكر الإسلام والإيمان والإحسان و أشراط الساعة، ثم قال في آخره: "ثم انْطَلَقَ (يعني : السائل الذي جاء يسأل على تلك الهيئة العجيبة) فَلَبِثْتُ مَلِيًّا ثُمَّ قَالَ لِي: يَا عُمَرُ أَتَدْرِي مَنْ السَّائِلُ؟ قُلْتُ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: فَإِنَّهُ جِبْرِيلُ أَتَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ دِينَكُمْ"(١).

فإذا أسقط العلماء واتخذ الناس رءوساً جهالاً من يعود بالناس إلى دينهم؟! كيف يخرجون من حال الذل والهوان بدون العلماء؟!

ومنها: الخروج عن سبيل المؤمنين، وهذا منحى توعد أصحابه بالنار.

﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيراً﴾ (النساء:١١٥).

ومن أضرار ضياع حقوق العلماء : الوقوع في خلاف ما أمر به صلى الله عليه وسلم من إكرام العلماء وحفظ حقوقهم وعدم إيذائهم، والله عزوجل يقول: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (النور:٦٣).

ومن أضرار ضياع حق العلماء : موافقة أهل البدع والأهواء ومشابهتهم، وذلك أن من سنن أهل البدع والأهواء انتقاص العلماء، وانظر ما شئت من الفرق والجماعات المخالفة لهدي الرسول صلى الله عليه وسلم ولما كان عليه الصحابة رضوان الله عليهم تجد هذا فيهم؛

فالشيعة أمرهم مشهور(٢).

والخوارج حالهم في ذلك مذكور(٣).

والمعتزلة شأنهم معروف(١).

=

٥٤/٦، تحت رقم ٣٥٧٩)، والترمذي والحاكم، وأورده الألباني في السلسلة الصحيحة تحت رقم (١٣).

(١) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان باب بيان الإسلام والإيمان والإحسان، حديث رقم (٨) عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

(٢) فهم قد ردوا الصحابة وانتقصوهم إلا آل البيت ومن كان موالياً لهم بزعمهم.

(٣) فلم يقتصر أمرهم على الانتقاص بل قاتلوا الصحابة.

والصوفية ونبزهم علماء الشرع أمره ملحوظ[٢].

وهكذا لا تجد فرقة و لا جماعة و لا طائفة تخالف الصراط المستقيم، وتخرج عن سبيل المؤمنين، إلا وهي تتكلم في العلماء وتطعن فيهم وتضع من شأنهم، وتضيع حقهم، وتتخذ رءوساً جهالاً!

قال الشاطبي رحمه الله: "روي أن زعيماً من زعماء أهل البدعة كان يريد تفضيل الكلام (يعني: ما يسمى بعلم الكلام) على الفقه، فكان يقول: إن علم الشافعي وأبي حنيفة جملته لا يخرج عن سراويل امرأة (يعني: أحكام الحيض والنفاس).

هذا كلام هؤلاء الزائغين، قاتلهم الله"اهـ[٣].

ومن أضرار ضياع حق العلماء: وقوع الناس في الضلال والخروج عن صراط الهداية، وسبيل والرشاد. وذلك أن الناس سيتخذون رءوساً جهالاً بدلاً من العلماء فيسألونهم فيفتونهم بغير علم فيضلوا، فيكون من الأضرار وقوع الناس في الضلال. وقد جاء ذكر ذلك في الحديث السابق وهو فيما جاء عن عَبْدَ اللّهِ بْنَ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ يَقُولُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللّهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: «إِنّ اللّهَ لاَ يَقْبِضُ الْعِلْمَ انْتِزَاعاً يَنْتَزِعُهُ مِنَ النّاسِ. وَلَكِنْ يَقْبِضُ الْعِلْمَ بِقَبْضِ الْعُلَمَاءِ. حَتّىَ إِذَا لَمْ يَتْرُكْ عَالِماً، اتّخَذَ النّاسُ رءوسًا جُهّالاً، فَسُئِلُوا فَأَفْتَوْا بِغَيْرِ عِلْمٍ. فَضَلّوا وَأَضَلّوا»[٤].

ومحل الشاهد فيه هنا قوله: " فَسُئِلُوا فَأَفْتَوْا بِغَيْرِ عِلْمٍ فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا"، فانظر كيف حكم عليهم بالضلال والإضلال!

=

(١) فهم ينبزون أهل السنة بالحشوية وبأنهم زوامل أسفار لا علم عندهم. وفي ضعفاء العقيلي (٢٨٥/٣): "عن إسماعيل بن علية عن اليسع أبوسعدة قال: "تكلم واصل يوماً ، فقال عمرو بن عبيد: اسمعوا فما كلام الحسن وابن سيرين والنخعي والشعبي عندما تسمعون إلا خرق حيض مطروحة". وواصل بن عطاء وعمرو بن عبيد رءوس المعتزلة.

(٢) فهم يقولون سخرية بأهل السنة: علمكم ميت عن ميت، وعلمنا عن الحي الذي لا يموت، حدثني قلبي عن ربي.

(٣) الاعتصام (٢٣٩/٢).

(٤) أخرجه البخاري في كتاب العلم باب كيف يقبض العلم، حديث رقم (١٠٠)، ومسلم في كتاب العلم باب رفع العلم وقبضه وظهور الجهل والفتن، حديث رقم (٢٦٧٣).

المقصد الرابع

حقيقة منهج علماء هذه البلاد والرد على الشبهات التي تلصق بهم.

علماء هذه البلاد السعودية – لا نزكيهم على الله تعالى، ونحسبهم والله حسيبهم — هم بقية السلف، وأصحاب اتباع للدليل؛

فهم لأصول العلم متبعون، وفي ركب العلماء يمشون.

علمهم آيات القرآن العظيم، وأحاديث النبي المصطفى الأمين عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم، وما أُثر عن الصحابة والسلف الصالحين، شهد لهم بذلك القاصي والداني!

وكتبهم وفتاواهم ومواقفهم موجودة ومسجلة، بين يدي الناس، تشهد بصدق ما أقول، ومع هذا فقد نبغ نابغة شر، افتروا عليهم بما لا يرضى من القول، فأثاروا شبهات، ونسبوهم إلى قصور وتقصير، وخروج عن منهج السلف الصالح، فلا حول ولا قوة إلا بالله، وإنا لله وإنا إليه راجعون.

وسأورد هنا هذه الشبه والافتراءات مع الرد عليها[1] والله المستعان:

شبهات الطاعنين على العلماء وتفنيدها

[الطعن الأول

أن العلماء كفار؛ لأنهم يظاهرون المشركين ويوالونهم

ومعنى هذا الطعن :

أن العلماء الذين أصدروا فتاوى تبين حرمة وبطلان ما يفعله أهل البدع من التفجير والاعتداء على الأبرياء قد كفروا ؛ لأنهم يناصرون ويدافعون عن الكفار .

وهذا الطعن باطل من وجوه :

الوجه الأول : أن الفتاوى التي صدرت من العلماء مبنية على الدليل من الكتاب السنة وفهم سلف الأمة وليست على الهوى .

---

(١) جميع الكلام الذي أورده هنا من إيراد الشبهة وردّها هو من كتاب "المدارج في كشف شبهات للخوارج" لأجي فضيلة الشيخ أحمد بازمول سلمه الله، جزاه الله خيراً، وقد وضعته بين معقوفتين.

والوجه الثاني : أنهم في فتاواهم المبنية على الاجتهاد إن أصابوا فلهم أجران ، وإن أخطئوا فلهم أجر واحد كما صح بذلك الخبر[1] .

والوجه الثالث : أننا – بحمد الله تعالى – لم نقف لهم على فتوى فيها مظاهرة الكفار فضلاً عن موالاتهم . ومن ادعى أنهم فعلوا ذلك فليأتنا بفتوى واحدة فقط تصدق زعمه .

والوجه الرابع : أن هذا القول صادرٌ من أناس غير معروفين بالعلم ولا بسلامة المنهج والمعتقد ، فكيف يقبل جرحهم لمن جاوز القنطرة .

فقد سئل الشيخ صالح الفوزان – حفظه الله تعالى – : كثر في هذه الفترة السب والطعن في العلماء الكبار والحكم عليهم بالفسق والكفر خاصة بعد صدور الفتاوى في التفجيرات وأن عند علمائنا ضعف في الولاء والبراء ! فأرجو أن توجهوا لنا نصيحة في الكلام في هذا الموضوع ؟ وما حكم الرد على القائل بهذا ؟

فأجاب – حفظه الله تعالى – : الواجب على الجاهل ألاَّ يتكلم وأن يسكت ويخاف الله – عز وجل – ولا يتكلم بغير علم قال تعالى ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَاناً وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ﴾ (الأعراف : ٣٣)، فلا يجوز للجاهل أن يتكلم في مسائل العلم ، ولا سيما المسائل الكبار مثل التكفير والجهاد والولاء والبراء .

وأما النميمة والغيبة والوقيعة في أعراض ولاة الأمر والوقيعة في أعراض العلماء فهذه أشد أنواع الغيبة ، وهذا أمر لا يجوز .

وأما مسألة الأحداث التي حدثت والتي تحدث وأمثالها فهي من شئون أهل الحل والعقد هم الذين يتباحثون فيها ويتشاورون فيها ، ومن شأن العلماء أن يبينوا حكمها الشرعي ، وأما عامة الناس والعوام وأما الطلبة المبتدئون ليس هذا من شئونهم قال الله عز وجل: ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلاً﴾ (النساء : ٨٣)، فالواجب إمساك اللسان في القول في مثل هذه المسائل لا سيما في التكفير

---

(١) وهو ما أخرجه البخاري في الصحيح (١٣/٣١٨رقم٧٣٥٢-فتح) ومسلم في الصحيح (١٢/٢٠رقم١٧١٦-نووي) عن عمرو بن العاص ﷺ عن النبي ﷺ أنه قال :" إذا حكم الحاكم فاجتهد ثم أصاب فله أجران ، وإذا حكم الحاكم فاجتهد ثم أخطأ فله أجر" .

والولاء والبراء. والإنسان في الغالب جاهل بتطبيقه قد يطبقه خطأ ويحكم على الناس بالضلال والكفر ويرجع حكمه عليه ؛ لأن الإنسان إذا قال لأخيه : يا كافر ، يا فاسق ، وهو ليس كذلك رجع ذلك عليه – والعياذ بالله – الأمر خطير جدًّا وعلى الذي يخاف الله عز وجل أن يمسك لسانه إلا من كان ممن وكل إليه الأمر وهو من ولاة الأمر أو العلماء فهذا لا بد أن يبحث في هذا الأمر ويتحرى الحل ، أما إذا كان من عامة الناس ومن صغار طلبة العلم ؛ فليس له الحق أن يصدر الأحكام على الناس ، ويقع في أعراض الناس وهو جاهل ويغتاب ويتكلم في التكفير والتفسيق وغير ذلك هذا يضر المتكلم به .

على المسلم أن يمسك لسانه وألاَّ يتكلف ما لا يعنيه وعليه بالدعاء للمسلمين بالنصر والدعاء على الكفار بالعقوبة هذا من حقك وواجب عليك أما أن تتناول الأحكام الشرعية وتخطِّئ وتتكلم في أعراض ولاة الأمر والعلماء وتحكم عليهم بالكفر أو الضلال فهذا خطر عظيم عليك أنت يا أيها المتكلم وأما هم لا يضرهم كلامك فيهم ، والله أعلم[1] .

والوجه الخامس : أن تكفير العلماء إنما يصدر من الخوارج وأمثالهم من التكفيريين، **سئل الشيخ صالح الفوزان – حفظه الله تعالى –** : هناك من يقول : إن ولاة الأمر والعلماء في هذه البلاد قد عطلوا الجهاد وهذا الأمر كفر بالله !! فما هو رأيكم في كلامه؟

فأجاب – حفظه الله تعالى – : هذا كلام جاهل يدل على أنه ما عنده بصيرة ولا علم وأنه يكفر الناس ، وهذا رأي الخوارج ، هم يدورون على رأي الخوارج والمعتزلة – نسأل الله العافية – لكن ما نُسيء الظن بهم نقول هؤلاء جهال ، يجب عليهم أن يتعلموا قبل أن يتكلموا ، أما إن كان عندهم علم ويقولون بهذا القول ، فهذا رأي الخوارج وأهل الضلال[2] .

وقد سئل الشيخ صالح بن عبد العزيز آل الشيخ – حفظه الله تعالى – السؤال التالي: أجلس مع بعض الناس ويقولون : إن العلماء الكبار كفار ؛ لأنهم يظاهرون المشركين ويوالونهم ، ويعلمون هذا لصغار السن ويربونهم عليه ، لا سيما بعد صدور

(١) (أهداف الحملات الإعلامية) والفتاوى الشرعية للحصين (٧٣-٧٤) وانظر منه (٦٩) .
(٢) (شرح العقيدة السفارينية) والفتاوى الشرعية للحصين (١١٠) .

الفتاوى في تحريم التفجيرات في بلاد الكفار ؟

فأجاب – حفظه الله تعالى – :

أولاً : الواجب على كل مؤمن بالله – جل وعلا – ويرجو لقاءه ويخشى لقاءه : أن يحذر أتم الحذر أن يقول بلا علم ، وأن يجترئ على ما ليس له به حجة ، سيما في مسائل الاعتقاد ، ومسائل الإيمان والتكفير ، ومسائل الحلال والحرام ، وإذا كان في الحلال والحرام قال الله جل وعلا : ﴿وَلا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلالٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لا يُفْلِحُونَ . مَتَاعٌ قَلِيلٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (النحل : ١١٦- ١١٧).

هذا فيما يقوله بعض من ليس له حجة بلفظ هذا حلال وهذا حرام وليس عنده بينة ، وجميع مسائل القول على الله بلا علم – في مسائل العمليات والفقهيات ، ومسائل العقيدة وهي أشد – : تدخل في هذا السبيل ، ولهذا حرَّم الله – جل وعلا– أن يقفو المرء ما ليس له به علم ، وأن يقول ما ليس له به علم كما قال جل وعلا : ﴿وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ﴾ (الأعراف : ٣٣)، وقال : ﴿وَلا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً﴾ (الإسراء : ٣٦)، وفي الحديث :"من أفتى بفتيا من غير ثبت فإنما إثمه على من أفتاه"(١).

ومن أعظم ما وقع في الأمة من الانحراف عن الحق هو تكفير المسلم الذي ثبت إسلامه، وعدم الاستبيان منه ، وهذا كان له بوادر في زمن الصحابة ، في زمن النبي ﷺ، فعلمنا النبي ﷺ كيف تعالج هذه البوادر ، كيف ينظر في هذا الأمر .

فهذا عمر ﷺ قال في شأن حاطب ﷺ : يا رسول الله ، دعني أضرب عنق هذا المنافق، فقال النبي ﷺ : يا عمر ، أرسله ثم التفت إلى حاطب وقال :"يا حاطب ما حملك على هذا ؟ فأجاب بجوابه المعروف(٢).

وأسامة بن زيد – رضي الله عنهما – لما قتل رجلاً يقول : لا إله إلا الله ، فقال له النبي

---

(١) أخرجه أبو داود في السنن (٤/٦٦رقم٣٦٥٧) وابن ماجه في السنن (١/٤٠رقم٥٣) من حديث أبي هريرة ﷺ .ولفظ ابن ماجه :" من أفتي بغير علم كان إثمه على من أفتاه ". والحديث حسنه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٢/٤١٠) .

(٢) أخرجه البخاري في الصحيح (٦/١٤٣رقم٣٠٠٧-فتح) ومسلم في الصحيح (١٦/٨٠رقم٢٤٩٤-نووي) من حديث علي بن أبي طالب ﷺ .

ﷺ :"أقتلته بعد أن قال: لا إله إلا الله ؟ قال: يا رسول الله، إنما قالها تعوذاً، قال:"فما تفعل بلا إله إلا الله "[1].

وهذا فيه النكير على عدم قبول أسامة ﷺ إسلام الرجل بقول لا إله إلا الله .

واعترض معترض على النبي ﷺ في قسمته المال ، لما قسم المال بعد إحدى الغزوات فقال : يا رسول الله ، اعدل . فقال رسول الله ﷺ :" ويحك من يعدل إذا لم أعدل؟ فأعطاه النبي ﷺ مالاً كثيراً ، ثم قال :"يخرج من ضئضئ هذا أقوام يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم ، وصيامه مع صيامهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية"[2]، وهم الخوارج .

وفي عهد عثمان ﷺ ظهر هؤلاء الخوارج ، **وكان أساس انحرافهم** هو نظرهم في أن الوالي أو أمير المؤمنين ﷺ لم يقم بما أوجب الله عليه ، فمنهم من كفره ، ومنهم من أوجب قتله ، حتى قتل بسبب تصرفاته كما يزعمون ! وكفروا طائفة أيضاً في ذلك الزمان حتى قام علي ﷺ وحصل منه ما حصل بالنسبة لهم ثم كفروه ، وسار إليهم ابن عباس وكانوا نحواً من مائة وعشرين ألفاً ووعظهم وحاجهم ، وكان أساس كلامهم في مسألتين :

في مسألة: الحكم بما أنزل الله، وتحكيم الرجال في كتاب الله جل وعلا.

في مسألة : تكفير من ارتكب المعصية .

ومنهم رجع بعد نقاش ابن عباس لهم ، ومنهم من لم يرجع ، واستمر ذلك في الأمة ، فعثمان ﷺ كُفِّر ، وعلي ﷺ كُفِّر ، وهكذا سادات الأمة كفرهم معارضوهم بسبب أو آخر .

والتكفير معناه : الحكم بالخروج من الدين ، الحكم بالردة. **والحكم بالردة على مسلم ثبت إسلامه لا يجوز إلا بدليل شرعي يقيني بمثل اليقين الذي حصل بدخوله في الإيمان، والأصل في ذلك قول الله جل وعلا في سورة براءة في ذكر المنافقين ﴿وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلامِهِم﴾** (التوبة : ٧٤)، **وفي آية أخرى ﴿قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾** (التوبة : ٦٦)،**وفي آية سورة آل عمران قال الله جل وعلا ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ثُمَّ ازْدَادُوا كُفْراً﴾**

---

(١) أخرجه البخاري في الصحيح (٧/٥١٧رقم٤٢٦٩-فتح)ومسلم في الصحيح(٢/١٣١رقم٩٦-نووي).
(٢) أخرجه البخاري في الصحيح (٦/٦١٧رقم٣٦١٠-فتح) ومسلم في الصحيح (٧/٢٢٦رقم١٠٦٤-نووي) .

(آل عمران : ٩٠) ، **ونحو ذلك في أن المؤمن أو من أسلم أو آمن قد يخرج من الدين،** ولكن ضبطها أهل السنة والجماعة بضوابط كثيرة معلومة ، ثم إن أهل السنة يفرقون بين الكلام على الفعل والقول والعمل بأنه كفر ، وقيام هذا العمل بمكلف هل هو يخرج به من الدين أم لا ؟ لأن المكلف قد يكون جاهلاً ببعض المسائل ، وقد يكون متأولاً ، وقد يكون لم تبلغه الحجة التي يصير بها قد قامت عليه الحجة ، وقد يكون معذوراً وقد لا يكون ، وهذه تحتاج إلى إقامة شروط وانتفاء موانع .

فأهل السنة وسطٌ في هذا الباب بين :

الخوارج : الذين يكفرون بالذنب ، ويكفرون بمطلق الحكم بغير ما أنزل الله ، وبمطلق الموالاة للكفار ونحو ذلك وأشباهه .

وما بين المرجئة : الذين لا يرون من ثبت إيمانه أنه يخرج من الإيمان بفعل أو بقول أو باعتقاد .

وأهل السنة : بين هذا وهذا ، ويقولون : إن من ثبت إيمانه بيقين لا يجوز أن يخرج من هذا الإيمان إلا بحجة وظهور الشروط وانتفاء الموانع .

فإذا كان كذلك فإن الذي يقيم الحجة وينظر في الشروط والموانع هو المؤهل لها شرعاً، وهم القضاة الذين عندهم معرفة بما فيه التأويل وما ليس فيه التأويل ، وما يكون من أحوال الناس ، وبعض طلبة العلم قد لا يحسن منه الدخول في هذا ؛ لعدم معرفته بوسائل الإثبات والبينات ، وما يحصل به إثبات الشيء من عدمه شرعاً ، ومسائل القضاء هي التي تترتب عليها الأحكام ، وهذه تحتاج فيها إلى حكم قاضٍ يثبت فيه الكفر على المعين ؛ لأنه إذا ثبت الكفر على معين فإنها ستترتب آثار الردة عليه وهي كثيرة .

إذا تبين هذا ، فإن أعظم من يحذر من النيل من إيمانه والنيل من صحة إسلامه وصحة اعتقاده هم علماء أهل السنة والجماعة ، القائمون بأمر الله ، فالعلماء المسلمون عموماً هم القائمون بأمر الديانة وهم الذين يؤخذ عنهم الدين وهم الذين يبصرون الناس بالحق من غيره ، ومن توجه إليهم بالتكفير فأول ما يتجه له قول النبي ﷺ :" من قال لأخيه : يا كافر فقد باء بها أحدهما"[1]. ولا بد إما أن يبوء بها القائل أو يبوء بها الآخر ، هذا خطر

(١) أخرجه البخاري في الصحيح(١٠/٥١٤رقم٦١٠٤-فتح) ومسلم في الصحيح (٢/٦٥رقم٦٠-نووي).

عظيم على قائل تلك الكلمة ، خطر عظيم جدًّا على دينه ؛ لأنه إما أن يكون الآخر كما قال ، وإما أن ترجع عليه بهذا الحكم ، وهذا يوجب الحذر الشديد من مثل هذه الكلمة .

والعلماء – لا شك – أن عندهم من البصر بالشريعة والبصر بالكتاب والسنة والدلائل الشرعية ما يجعلهم ينظرون في المسائل نظراً واسعاً ، المسائل الشرعية في فقهها مبنية على مقدمتين :

أما المقدمة الأولى فهي : ورود الدليل ، وهو محل الاستدلال ، وهو ورود الدليل من الكتاب أو من السنة على المسألة التي فيها التنازع ، ثم فهم هذا الدليل – يعني هذه في المقدمة الأولى – وفهم الدليل من قبلهم فهماً يجعل عندهم ظهورًا بأن معنى هذه الآية هو كذا ، معنى هذا الحديث هو كذا .

والمقدمة الثانية : أن يكون هناك تحقيق للمناط في تنزيل هذا الحكم على هذا الدليل ، أو في إلحاق هذه المسألة بالدليل ليؤخذ منه الحكم .

وتنقيح المناط صنعة اجتهادية كما قرره الشاطبي – رحمه الله – في كتابه الموافقات، وأهل العلم يختلفون عن سائر القراء أو طلبة العلم أو من عنده قراءة في قيام هذه الفتوى عندهم على هاتين المقدمتين ، وكثير من طلبة العلم قد يعلم الأولى لكن لا يعلم الثانية، وهي: فقه تنزيل النازلة على وجه الدليل لينظر فيها بالحكم .

هذا يقتضي أن يقي طالب العلم نفسه في أنه ينظر إلى تبرئة ذمته بأن يجعل كلام أهل العلم الذين اجتمعوا على قول ما أن يجعله مانعاً له من أن يخوض في المسألة بغير علم؛ لأن المرء ينظر إلى أنه إذا خالفه واحد ممن هو أعلم منه قد يشك في ما اتجه إليه فكيف إذا كان جمع كبير من علماء المسلمين أو من العلماء الربانيين ينظرون إلى هذا الأمر ويخالفونه أو يقولون فيه بقول .

لهذا فالقول – أي ما ذكره السائل بقوله : إن العلماء الكبار كفار ؛ لأنهم يظاهرون المشركين – هذا من الخطر العظيم من أن يقول قائل بمثل هذه الكلمة :

أولاً : لأن العلماء الكبار يبينون الحق ، كما كان الصحابة – رضوان الله عليهم – في زمن الخوارج يبينون الحق ، وإذا اتهمهم أحد أو رماهم بالكفر لأجل تبيينهم الحق فلا يعني أن رمي هذا الرامي أنه موافق للصواب ، بل جنايته على نفسه ، ويجب أن يؤخذ على

يده، وأن يعزر تعزيراً بليغاً من قبل القضاة بما يحجزه عن ذلك ، ولما فات التعزير الشرعي في مثل هذه المسائل كثر القول ، وكثر الخوض فيها وقد كان القضاة فيما مضى يعزرون في قول المسلم لأخيه : يا كلب ! أو يا كذا ! بما فيه انتقاص له! فكيف إذا كان فيه رمي بمثل هذا الرمي العظيم الذي لا يجوز لمسلم يخشى الله أن يتفوه به ، فضلاً على أنه يعتقده.

والواجب علينا جميعاً أن نحذر ونتنبه للحق وأن نتواصى به ، وأن نكون حافظين لألسنتنا من الوقوع في ورثة الأنبياء وهم العلماء ، ولقد أحسن ابن عساكر – رحمه الله – إذ قال في فاتحة كتابه "تبيين كذب المفتري" قال : (ولحوم العلماء مسمومة ، وعادة الله في منتقصهم معلومة) . وهذا ظاهر بين ، والتجربة تدل عليه ، ورؤية الواقع تدل عليه .

وقانا الله وإياكم من زلل الأقوال ، ومن زلل الأعمال ، وسوء المعتقدات ، وهدى ضال المسلمين ، وبصرنا وإياهم بالحق[1] .

(١) فتاوى الأئمة في النوازل المدلهمة (١٧٣-١٨٦) .

الطعن الثاني

أن العلماء مضغوط عليهم من الحكام

ومعنى هذا الطعن :

أنَّ العلماء يفتون في بعض المسائل بخلاف ما دل عليه الدليل تعمداً ، والسبب في ذلك - عندهم - أنَّ ولي الأمر يضغط عليهم في إصدار هذه الفتاوى .

وهذا الطعن باطل من وجوه :

الوجه الأول : أنه يلزم من هذا القول أن العلماء يَتَقَوَّلُون على الله عز وجل وعلى رسوله ﷺ حين يقولون : الحكم كذا وكذا لقوله تعالى كذا ولقوله ﷺ كذا .

فهل يقول عاقل : إنَّ هؤلاء العلماء الربانيين يفعلون هذا ؟ هذا لا يُظَنُّ بمسلم من عامة الناس فكيف بأهل العلم ورثة الأنبياء . وإن كنا لا ندعي العصمة لهم ولكن اتهام العلماء الأبرياء بلا حجة وبرهان لا يقره الشرع المطهر .

والوجه الثاني : أنَّ هذه الدولة السعودية تحكم بكتاب الله وسنة رسول الله ﷺ ، في جميع شئونها ، وهذا من فضل الله عليهم وعلينا ، فكيف تضغط على العلماء في إصدار الفتاوى ، بل هذا يخالف الواقع ؛ إذ إن المعروف والمشاهد أن العلماء يصدرون الفتاوى على حسب ما يدل عليه الدليل من القرآن والسنة دون تقيد بمذهب معين .

ونطالب كل من يدعي أن العلماء مضغوط عليهم من ولاة الأمر أن يذكروا مثالاً واحداً أفتى فيه أهل العلم بسبب الضغط عليهم ،ولكن هيهات ،هيهات .

وقد سئل الشيخ الفوزان – حفظه الله تعالى – : قبل فترة وزع شريط ، والشريط يتكلم فيه أحد قواد إحدى الجماعات في الأردن ، يتكلم عن هيئة كبار العلماء - عندنا في البلاد السعودية - والشريط فيه نوع خبيث، الذم فيما يشبه المدح يتكلم ويمدح أهل العلم عندنا، ويقول أما ما يوجد عندهم من أخطاء في بعض الفتاوى فإنما صدرت بسبب الضغوطات من ولاة الأمر في تلك البلاد والشريط وزع فلعلكم تلقون الضوء حول هذا ؟

فأجاب – حفظه الله تعالى - : الحمد لله أنه اعترف بالحق وبين فضل هؤلاء العلماء. أما قوله : أنهم يفتــون بسبب ضغوطــات فهو قول باطل وعلماء هذه البلاد - ولله الحمد - هم أبعد الناس عن المجاملات فهم يفتون بما يظهر لهم أنه هو الحق . وهذه

فتاواهم موجودة – ولله الحمد – ومدونة وأشرطتهم موجودة ، فليأتنا هذا المتكلم بفتوى واحدة تعمدوا فيها الخطأ بموجب ضغط وأنهم أجبروا على هذا الشيء . أما الكلام والدعاوى واتهام الناس فهذا لا يعجز عنه أحد كل يقوله لكن الكلام في الحقائق[1] .

الوجه الثالث : أن أهل العلم أنفسهم ردوا على هذا الافتراء حين سئلوا عن ذلك فها هو **الشيخ محمد السبيل حفظه الله تعالى** إمام المسجد الحرام وعضو هيئة الإفتاء يُسأل عن قول بعض الشباب : إن العلماء يداهنون الحكـــام، ومضغوط عليهم من قبل الحكام في إصدار بعض الفتاوى نرجو توضيح الحق من معاليكم في هذه القالة؟

فأجاب حفظه الله تعالى :

ما نعلمه من علماء هذه البلاد :أنهم لا يداهنون في دين الله ، وأنهم يناصحون حكامهم سرًّا، ويدخلون عليهم ، وهم يرحبون بهم ويتقبلون منهم .

من يقول : إن العلماء مضغوط عليهم أو يداهنون الحكام :**كل هذا ادِّعاء لا حقيقة له.**

ومجموعة من العلماء الذين يثق الناس بهم ويطمئنون لهم ، إذا جاء أمر من الأمور يتشاورون فيه العلماء ثم الذي يتفقون عليه ، يرفعونه لولاة الأمر . ونحن أدرى بهذا الشيء ونعرف هذا الشيء . العلماء يعرفون هذا . **وليس للعلماء** إذا نصحوا حكامهم في شيء أن يقولوا على رءوس الأشهاد :إنَّا ذهبنا وقلنا لولاة الأمر كذا وكذا ! هذا منهي عنه ولا يجوز . **هذا أمر** . **والأمر الثاني** : أتريد أن يقول : أنا فعلت كذا وكذا ! **هذا رياء** ، والرياء من أعمال المنافقين ،﴿ يُرَاؤُونَ النَّاسَ وَلا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلاً﴾ (النساء:١٤٢).

فهؤلاء كلامهم مردود عليهم غير صحيح ـــ ولاة الأمر عندنا – يتقبلون – جزاهم الله خيراً – وهناك أمور قد يريد ولاة الأمر فعلها وإذا قال العلماء فيها كلمتهم . تركها ولي الأمر لقول العلماء بنفس طيبة وقبول حسن[2] اهـــ

وسئل الشيخ الفوزان – حفظه الله تعالى – : سماحة الشيخ أنتم وإخوانكم العلماء في هذه البلاد سلفيون ـــ ولله الحمد ـــ وطريقتكم في مناصحة الولاة شرعية كما بَيَّنَها

(١) محاضرات في العقيدة والدعوة (٣٢٦/٣) .
(٢) اللقاء المفتوح بدورة الإمام محمد بن عبد الوهاب عام١٤٢٣هـــ (ب) .

الرسول ﷺ ـــ ولا نزكي على الله أحداً ـــ ويوجد من يعيب عليكم عدم الإنكار العلني لما يحصل من مخالفات والبعض الآخر يعتذر لكم فيقول : إن عليكم ضغوطاً من قبل الدولة فهل من كلمة توجيهية توضيحية لهؤلاء القوم ؟

فأجاب حفظه الله :

لا شك أن الولاة كغيرهم من البشر ليسوا معصومين من الخطأ ومناصحتهم واجبة ولكن تناولهم في المجالس وعلى المنابر يعتبر من الغيبة المحرمة وهو منكر أشد من المنكر الذي يحصل من الولاة ؛ لأنه غيبة ولما يلزم عليه من زرع الفتنة وتفريق الكلمـــة والتأثير على سير الدعوة .

فالواجب إيصال النصيحة لهم بالطرق المأمونة لا بالتشهير والإشاعة .

وأما الوقيعة في علماء هذه البلاد وأنهم لا يناصحون أو أنهم مغلوبون على أمرهم **فهذه طريقة يقصد بها الفصل بين العلماء وبين الشباب** والمجتمع حتى يتسنى للمفسد زرع شروره ؛ لأنه إذا أسيء الظن بالعلماء فقدت الثقة بهم وسنحت الفرصة للمغرضين في بث سمومهم . وأعتقد أن هذه الفكرة دسيسة دخيلة على هذه البلاد وأهلها من عناصر أجنبية فيجب على المسلمين الحذر منها"[1] اهـــ .

الوجه الرابع : أن هذا الطعن يؤدي إلى رد فتاوى العلماء وعدم قبولها إذا عارضت أهواء الناس . فكل ما يقوله العلماء ردوه بمثل هذا القول الباطل ولو كان مبنيًّا على الدليل الصريح الواضح .

سئل الشيخ الفوزان – حفظه الله تعالى – : هل من الاجتماع : الاستخفاف بهيئة كبار العلماء ورميهم بالمداهنة والعمالة ؟

فأجاب – حفظه الله تعالى – :

يجب احترام علماء المسلمين ؛ لأنهم ورثة الأنبياء .والاستخفاف بهم يعتبر استخفافاً بمقامهم ووراثتهم للنبي ﷺ واستخفافاً بالعلم الذي يحملونه . ومن استخف بالعلماء استخف بغيرهم من المسلمين من باب أولى . فالعلماء يجب احترامهم لعلمهم ولمكانتهم في الأمة ولمسئوليتهم التي يتولونها لصالح الإسلام والمسلمين وإذا لم يوثق بالعلماء فبمن

---

(١) الأجوبة المفيدة (١١٢) .

يوثق ؟ وإذا ضاعت الثقة بالعلماء فإلى من يرجع المسلمون لحل مشاكلهم ولبيان الأحكام الشرعية ؟ وحينئذ تضيع الأمة وتشيع الفوضى .

والعالم إذا اجتهد وأصاب فله أجران وإذا اجتهد فأخطأ فله أجر واحد والخطأ مغفور. وما من أحد استخف بالعلماء إلا وقد عرض نفسه للعقوبة والتاريخ خير شاهد على ذلك قديماً وحديثاً ولا سيما إذا كان هؤلاء العلماء ممن وكل إليهم النظر في قضايا المسلمين كالقضاة وهيئة كبار العلماء[1] اهـ .

(١) الأجوبة المفيدة (١٤٠) .

الطعن الثالث

أن العلماء يداهنون الحكام ويجاملونهم

ومعنى هذا الطعن :

أنَّ العلماء حين يتعاملون مع الحكام بالمعروف ويسمعون ويطيعون لهم – في غير معصية الله – أنهم يفعلون ذلك من أجل الدنيا والمناصب ، وخوفاً على مراتب الوظيفة .

وهذا الطعن باطل من وجوه :

الوجه الأول : أن طاعة واحترام العلماء لولاة الأمر هو ما جاءت به السنة النبوية، وما عليه عمل سلف الأمة من الصحابة – رضي الله عنهم أجمعين – ومن تبعهم بإحسان من التابعين فمن بعدهم .

فقد بَيَّنَ النبي ﷺ أن طاعة الأمير من طاعته ﷺ كما قَالَ ﷺ :" مَنْ أَطَاعَنِي فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَنْ يَعْصِنِي فَقَدْ عَصَى اللَّهَ وَمَنْ يُطِعِ الْأَمِيرَ فَقَدْ أَطَاعَنِي وَمَنْ يَعْصِ الْأَمِيرَ فَقَدْ عَصَانِي " [(١)].

وولي الأمر رجل بذل نفسه ووقته لرعاية مصالح أمته وتوفير سبل الراحة لهم ودفع المخاطر والسوء عنهم بإذن الله تعالى ؛ فالواجب علينا تقديره واحترامه بل ومحبته لما يقوم به من الأعمال الشاقة والمسئولية الكاملة فعن عَوْفِ بْنِ مَالِكٍ الْأَشْجَعِيَّ ﷺ قال رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :" خِيَارُ أَئِمَّتِكُمِ الَّذِينَ تُحِبُّونَهُمْ وَيُحِبُّونَكُمْ وَتُصَلُّونَ عَلَيْهِمْ وَيُصَلُّونَ عَلَيْكُمْ " [(٢)].

ومَنْ أَجَلَّ وأكرم السلطان أكرمه الله يوم القيامة ومن لم يجله أهانه الله يوم القيامة فعَنْ زِيَادِ بْنِ كُسَيْبٍ الْعَدَوِيِّ قَالَ كُنْتُ مَعَ أَبِي بَكْرَةَ ﷺ تَحْتَ مِنْبَرِ ابْنِ عَامِرٍ وَهُوَ يَخْطُبُ وَعَلَيْهِ ثِيَابٌ رِقَاقٌ فَقَالَ أَبُو بِلَالٍ :" انْظُرُوا إِلَى أَمِيرِنَا يَلْبَسُ ثِيَابَ الْفُسَّاقِ". فَقَالَ أَبُو بَكْرَةَ اسْكُتْ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ :" مَنْ أَهَانَ سُلْطَانَ اللَّهِ فِي الْأَرْضِ أَهَانَهُ اللَّهُ " [(٣)].

---

(١) أخرجه البخاري في الصحيح (١١١/١٣رقم٧١٣٧ــ فتح) ومسلم في الصحيح (٣٠٨/١٢رقم١٨٣٥ــ نووي) من حديث أبي هريرة ﷺ .وانظر : طاعة السلطان لإبراهيم المناوي (٤٥).

(٢) أخرجه مسلم في الصحيح (٣٤٠/١٢رقم١٨٥٥ــ نووي) .

(٣) أخرجه أحمد في المسند (٤٢/٥) والترمذي في السنن (٤٣٥/٤رقم٢٢٢٤) من حديث أبي بكرة ﷺ .
والحديث حسنه الألباني في صحيح سنن الترمذي(٤٨٥/٢رقم٢٢٢٤) .

فتأملوا كيف أن أبا بكرة ﷺ اعتبر الكلام في ولي الأمر والقدح فيه من إهانتـــه وقد علق الإمام الذهبي – رحمه الله تعالى – على هذه القصة بقوله : أبوبلال هذا خارجي ومن جهله عدَّ ثياب الرجال الرقاق لباس الفساق[1].

وبَيَّنَ النبي ﷺ أن من دخل على السلطان يريد توقيره فهو ضامن على الله كما قال مُعَاذ ﷺ:" عَهِدَ إِلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي خَمْسٍ مَنْ فَعَلَ مِنْهُنَّ كَانَ ضَامِنًا عَلَى اللَّهِ مَنْ عَادَ مَرِيضًا أَوْ خَرَجَ مَعَ جَنَازَةٍ أَوْ خَرَجَ غَازِيًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ دَخَلَ عَلَى إِمَامٍ يُرِيدُ بِذَلِكَ تَعْزِيرَهُ وَتَوْقِيرَهُ أَوْ قَعَدَ فِي بَيْتِهِ فَيَسْلَمُ النَّاسُ مِنْهُ وَيَسْلَمُ"[2].

وقال الشيخ السعدي – رحمه الله تعالى – : من إجلال الله إجلال السلطان المقسط وهو أحد السبعة الذين يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله"اهـــ[3] .

وقال ابن قيم الجوزية : "عوتب ابن عقيل في تقبيل يد السلطان حين صافحه !

فقال :أرأيتم لو كان والدي فعل ذلك فقبلت يده أكان خطأً أم واقعاً موقعه ؟

قالوا : بلى .

قال : فالأب يربي ولده تربية خاصة .

والسلطان يربي العالم تربية عامة فهو بالإكرام أولى"اهـــ[4]

فكيف يصف مسلم : عمل العلماء بالسنة النبوية وما عليه السلف الصالح بأنه مداهنة وتزلف للحكام بالباطل ؟! هذا لا يقوله مسلم يفهم ويعي ما يقول .

والوجه الثاني : أنه لا يجوز للمسلم أن يذل ويحتقر ولي الأمر ، فمن أذل ولي الأمر فقد ثَغَرَ ثَغْرَةً في الإسلام ولا تقبل توبته حتى يعيدها كما قال معاوية بن أبي سفيان ﷺ :" لما خرج أبو ذر ﷺ إلى الربذة لقيه ركب من أهل العراق فقالوا يا أبا ذر قد بلغنا الذي صنع بك فاعقد لواء يأتيك رجال ما شئت .

فقال : مهلاً ، مهلاً يا أهل الإسلام فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "سيكون بعدي سلطان فأعزوه ، من التمس ذله ثغر ثغرة في الإسلام و لم يقبل منه توبة

---

(١) النبلاء (١٤/٥٠٨) .
(٢) أخرجه أحمد في المسند (٥/٢٤١) . والحديث صححه الألباني في ظلال الجنة (٤٧٦) .
(٣) نور البصائر والألباب (٦٦) .
(٤) بدائع الفوائد (٣/١٧٦) .

حتى يعيدها كما كانت"[1].

فاحترام وتقدير العلماء لولي الأمر هو السنة وهدي السلف الصالح ، بخلاف ما يدعيه بعض الجهال من أن احترام العلماء لولي الأمر هو من أجل المناصب أو مداهنة الأمراء أو عمالة للحكام .قال أئمة الدعوة :" مما ينبغي التنبيه عليه **ما وقع من كثير من الجهلة من اتهام أهل العلم والدين بالمداهنة والتقصير وترك القيام بما وجب عليهم** من أمر الله سبحـــانه وكتمان ما يعلمون من الحق والسكوت عن بيانه ولم يدر هؤلاء الجهلة أن اغتياب أهل العلم والدين والتفكه بأعراض المؤمنين سم قاتل وداء دفين وإثم واضح مبين قال تعالى ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنـــَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُـــوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَاناً وَإِثْماً مُبِيناً ﴾ (الأحزاب:٥٨)"اهـــ[2] .

وقال ابن جماعة : "في حقوق ولي الأمر : يعرف له عظيم حقه ، وما يجب من تعظيم قدره ، فيعامل بما يجب له من الاحترام والإكرام ، وما جعل الله تعالى له من الإعظام ولذلك كان العلماء الأعلام من أئمة الإسلام يعظمون حرمتهم ، ويقبلون دعوتهم مع زهدهم وورعهم وعدم الطمع فيما لديهم **وما يفعله بعض المنتسبين إلى الزهد من قلة الأدب معهم فليس من السنة**"اهـــ[3].

والوجه الثالث : أن عدم احترام الأمراء والاشتغال بالطعن فيهم هو من فعل أهل البدع والأهواء ، قال ابن قيم الجوزية : لزوم جماعتهم مما يطهر القلب من الغل والغش؛ فإن صاحبه – للزومه جماعة المسلمين – يحب لهم ما يحب لنفسه ، ويكره لهم ما يكره لها، ويسوءه ما يسوءهم ، ويسره ما يسرهم . **وهذا بخلاف** من انحاز عنهم واشتغل بالطعن عليهم والعيب والذم ، **كفعل الرافضة والخوارج والمعتزلة وغيرهم** ؛ فإن قلوبهم ممتلئة غلاً وغشًّا، ولهذا تجد الرافضة أبعد الناس من الإخلاص ، وأغشهم للأئمة والأمة، وأشدهم بعداً عن جماعة المسلمين .

فهؤلاء أشد الناس غلاً وغشًّا بشهادة الرسول ﷺ والأمة عليهم ، وشهادتهم على أنفسهم بذلك ؛ فإنهم لا يكونون قط إلا أعواناً وظهراً على أهل الإسلام ، فأي عدو قام

---

(١) أخرجه ابن أبي عاصم في السنة (٤٩٩رقم١٠٧٩). وصححه الألباني في ظلال الجنة (٤٩٩) .
(٢) نصيحة مهمة ٢٠ . وانظر : (٣٢-٤١) من فتاوى العلماء الأكابر لعبد المالك الجزائري .
(٣) معاملة الحكام (٤٨) .

للمسلمين كانوا أعوان ذلك العدو وبطانته .وهذا أمر قد شاهدته الأمة منهم ، ومن لم يشاهده فقد سمع منه ما يصم الآذان ويشجي القلوب[1] .

والوجه الرابع : أن الطعن على العلماء بالمداهنة يجعل الناس لا يثقون بكلامهم ولا يأخذون بفتواهم .

(١) مفتاح دار السعادة (١/٢٧٧-٢٧٨) .

الطعن الرابع

أن العلماء لا ينكرون على الحكام علانية ولا يناصحونهم

ومعنى هذا الطعن :

أن العلماء لا يبينون الأحكام لولاة الأمر ولا ينكرون عليهم علانية أمام الناس ، فهم مقصرون في ذلك ، وكاتمون للعلم خوفاً على مناصبهم ووظائفهم .

وهذا الطعن باطل من وجوه :

الوجه الأول : أن النصيحة لولي الأمر من أهم أمور الدين فعَنْ تَمِيمٍ الدَّارِيِّ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ:"الدِّينُ النَّصِيحَةُ قُلْنَا لِمَنْ قَالَ لِلَّهِ وَلِكِتَابِهِ وَلِرَسُولِهِ وَلِأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ"(١).

قال أبونعيم الأصبهاني :" من نصح الولاة والأمراء اهتدى ومن غشهم غوى واعتدى"(٢). فكيف يقصر العلماء في النصيحة ولا يؤدونها على وجهها ؟!!

والوجه الثاني : أنَّ النصيحة لولي الأمر سرًّا أصل من أصول المنهج السلفي الذي خالفه أهل الأهواء والبدع كالخوارج : **إذ الأصل في النصح لولي الأمر الإسرار بالنصيحة وعدم العلن بها ويدل عليه ما رواه عِيَاض قال رَسُولُ اللَّهِ ﷺ :" مَنْ أَرَادَ أَنْ يَنْصَحَ لِسُلْطَانٍ بِأَمْرٍ فَلَا يُبْدِ لَهُ عَلَانِيَةً وَلَكِنْ لِيَأْخُذْ بِيَدِهِ فَيَخْلُوَ بِهِ فَإِنْ قَبِلَ مِنْهُ فَذَاكَ وَإِلَّا كَانَ قَدْ أَدَّى الَّذِي عَلَيْهِ لَهُ "**(٣).

وروى شَقِيق عَنْ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ قَالَ :قِيلَ لَهُ أَلَا تَدْخُلُ عَلَى عُثْمَانَ فَتُكَلِّمَهُ فَقَالَ أَتَرَوْنَ أَنِّي لَا أُكَلِّمُهُ إِلَّا أُسْمِعُكُمْ وَاللَّهِ لَقَدْ كَلَّمْتُهُ فِيمَا بَيْنِي وَبَيْنَهُ دُونَ أَنْ أَفْتَتِحَ أَمْرًا لَا أُحِبُّ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ فَتَحَهُ " (٤).

قال الشيخ ابن باز –رحمه الله تعالى – معلقاً على أثر أسامة ﷺ : لما فتحوا الشر في زمن عثمان ﷺ وأنكروا على عثمان ﷺ جهرة تمت الفتنة والقتال والفساد الذي لا يزال الناس في آثاره إلى اليوم حتى حصلت الفتنة بين علي ومعاوية وقتل عثمان وعلي بأسباب

---

(١) أخرجه مسلم في الصحيح (٢/٤٨رقم٥٥ــ نووي) .

(٢) فضيلة العادلين (١٤٠) .

(٣) أخرجه أحمد في المسند (٣/٤٠٣) وابن أبي عاصم في السنة (٥٠٧رقم١٠٩٦) . والحديث صححه الألباني في ظلال الجنة (٥٠٧) .

(٤) أخرجه البخاري في الصحيح (٦/٣٣١رقم٣٢٦٧ــ فتح) ومسلم في الصحيح(١٨/١٥٩رقم٢٩٨٩ــ نووي).

ذلك وقتل جم كثير من الصحابة وغيرهم **بأسباب الإنكار العلني وذكر العيوب علناً حتى أبغض الناس ولي أمرهم وحتى قتلوه . نسأل الله العافية** [(١)].

وعن سَعِيدُ بْنُ جُمْهَانَ أنه قَالَ لَقِيتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ أَبِي أَوْفَى فقُلْتُ له : إِنَّ السُّلْطَانَ يَظْلِمُ النَّاسَ وَيَفْعَلُ بِهِمْ قَالَ فَتَنَاوَلَ يَدِي فَغَمَزَهَا بِيَدِهِ غَمْزَةً شَدِيدَةً ثُمَّ قَالَ وَيْحَكَ يَا بْنَ جُمْهَانَ عَلَيْكَ بِالسَّوَادِ الْأَعْظَمِ عَلَيْكَ بِالسَّوَادِ الْأَعْظَمِ إِنْ كَانَ السُّلْطَانُ يَسْمَعُ مِنْكَ فَأْتِهِ فِي بَيْتِهِ فَأَخْبِرْهُ بِمَا تَعْلَمُ فَإِنْ قَبِلَ مِنْكَ وَإِلَّا فَدَعْهُ فَإِنَّكَ لَسْتَ بِأَعْلَمَ مِنْهُ " [(٢)].

فتأملوا كيف أن الصحابي الجليل ابن أبي أوفى ﷺ منعه من الكلام في السلطان وأمره بنصيحته سرًّا دون العلانية.

وقال سعيد بن جبير: قلت لابن عباس : آمر السلطان بالمعروف ، وأنهاه عن المنكر ؟

فقال ابن عباس : إن خفت أن يقتلك فلا .

قال سعيد : ثم عدت فقال لي مثل ذلك . ثم عدت فقال لي مثل ذلك .

وقال ابن عباس : إن كنتَ لا بُدَّ فاعلاً ففيما بينك وبينه"[(٣)].

فتدبروا موقف هذا الصحابي الجليل حبر الأمة وترجمان القرآن ابن عم النبي ﷺ من هذه المسألة العظيمة حيث أمره بالسرية في النصح .

وقيل لمالك بن أنس : إنك تدخل على السلطان وهم يظلمون ويجورون ؟

فقال : يرحمك الله فأين التكلم بالحق[(٤)] .

وقال الشوكاني رحمه الله: "ينبغي لمن ظهر له غلط الإمام في بعض المسائل أن يناصحه ولا يظهر الشناعة عليه على رءوس الأشهاد بل كما ورد في الحديث أنه يأخذ بيده ويخلو به ويبذل له النصيحة ولا يذل سلطان الله"[(٥)].

وقال أئمة الدعوة: ما يقع من ولاة الأمور من المعاصي والمخالفات التي لا توجب

---

(١) المعلوم٢٣ والمعاملة ٤٤ .

(٢) أخرجه أحمد في المسند (٣٨٢/٤) وابن أبي عاصم في السنة (٤٢٤رقم٢٩٠٥) . وحسنه الألباني في ظلال الجنة (٤٢٤) .

(٣) أخرجه ابن أبي الدنيا في الأمر بالمعروف (١١٣رقم٧٦) والبيهقي في الشعب (٢٧٣/١٣رقم٧١٨٥، ٧١٨٦) .

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم في الجرح (٣٠/١) .

(٥) السيل (٥٥٦/٤) .

الكفر والخروج من الإسلام فالواجب فيها مناصحتهم على الوجه الشرعي برفق واتباع ما عليه السلف الصالح من عدم التشنيع عليهم في المجالس ومجامع الناس[1].

وسئل الشيخ صالح الفوزان : ما هو المنهج الصحيح في المناصحة وخاصة مناصحة الحكام أهو بالتشهير على المنابر بأفعالهم المنكرة ؟ أم مناصحتهم في السر ؟ أرجو توضيح المنهج الصحيح في هذه المسألة ؟

فأجاب حفظه الله :

العصمة ليست لأحد إلا لرسول الله ﷺ فالحكام بشر يخطئون ولا شك أن عندهم أخطاء وليسوا معصومين ولكن لا نتخذ من أخطائهم مجالاً للتشهير بهم ونزع اليد من طاعتهم حتى وإن جاروا وإن ظلموا حتى وإن عصوا ما لم يرتكبوا كفراً بواحاً كما أمر بذلك النبي ﷺ [2]،وإن كان عندهم معاص وعندهم جور وظلم فإن الصبر على طاعتهم جمع للكلمة ووحدة للمسلمين وحماية لبلاد المسلمين وفي مخالفتهم ومنابذتهم مفاسد عظيمة أعظم من المنكر الذي هم عليه يحصل ما هو أشد من المنكر الذي يصدر منهم ما دام هذا المنكر دون الكفر ودون الشرك .

ولا نقول : إنه يسكت على ما يصدر من الحكام من أخطاء ، لا ، بل تُعالج ولكن تعالج بالطريقة السليمة بالمناصحة لهم سرًّا والكتابة لهم سرًّا . وليست بالكتابة التي تكتب ويوقع عليها جمع كثير وتوزع على الناس هذا لا يجوز بل تكتب كتابة سرية فيها نصيحة، تسلم لولي الأمر أو يكلم شفويًّا أما الكتابة التي تكتب وتصور وتوزع على الناس فهذا عمل لا يجوز؛ لأنه تشهير وهو مثل الكلام على المنابر بل هو أشد بل الكلام يمكن أن ينسى ولكن الكتابة تبقى وتتداولها الأيدي فليس هذا من الحق . وأولى من يقوم بالنصيحة لولاة الأمور هم العلماء وأصحاب الرأي والمشورة وأهل الحل والعقد قال تعالى ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ﴾ (النساء : ٨٣)، فليس كل أحد من الناس يصلح لهذا الأمر وليس الترويج للأخطاء والتشهير بها من النصيحة في شيء بل هو من إشاعة المنكر والفاحشة في الذين

---

(١) نصيحة مهمة ٣٠ .

(٢) أخرجه البخاري في الصحيح (١٣/٥رقم٧٠٥٥ــ فتح) ومسلم في الصحيح (١٢/٣١٦رقم١٧٠٩ــ نووي) من حديث عبادة بن الصامت ﷺ .

آمنوا ولا هو من منهج السلف الصالح وإن كان قصد صاحبها حسناً طيباً وهو إنكار المنكر بزعمه لكن ما فعله أشد منكراً مما أنكره وقد يكون إنكار المنكر منكراً إذا كان على غير الطريقة التي شرعها الله تعالى ورسوله ﷺ ؛ لأنه لم يتبع طريقة الرسول ﷺ الشرعية التي رسمها حيث قال ﷺ :"من رأى منكم منكراً فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان" [(١)].

فجعل الرسول ﷺ الناس ثلاثة أقسام :

منهم : من يستطيع أن يزيل المنكر بيده وهو صاحب السلطة أي ولي الأمر أو من وكل إليه الأمر من الهيئات والأمراء والقادة .

والقسم الثاني : العالم الذي لا سلطة له فينكر بالبيان والنصيحة بالحكمة والموعظة الحسنة وإبلاغ ذوي السلطة بالطريقة الحكيمة .

والقسم الثالث : من لا علم عنده ولا سلطة فإنه ينكر بقلبه فيبغضه ويبغض أهله ويعتزلهم[(٢)] اهـ

والوجه الثالث : أن نصيحة السلطان أمام الناس علانية بحضرته مع إمكان نصحه سرًّا : فضيحة وليست بنصيحة وهي محرمة لا تجوز للأمور التالية :

١- مخالفتها لحديث عياض بن غَنْم ﷺ الذي فيه الأمر بالإسرار .

٢- مخالفتها لآثار السلف كأسامة بن زيد وعبدالله بن أبي أوفى وغيرهما.

٣- لقوله ﷺ : " من أهان سلطان الله في الأرض أهانه الله " [(٣)].

قال الشيخ صالح بن عبدالعزيز بن عثيمين ـــ رحمه الله تعالى – :" إذا كان الكلام في الملك بغيبة أو نصحه جهراً والتشهير به من إهانته التي توعد الله فاعلها بإهانته ، فلا شك أنه يجب مراعاة ما ذكرناه ـــ يريد الإسرار بالنصيحة ـــ لمن استطاع نصيحتهم من العلماء الذين يَغْشَوْنَهم " [(٤)].

وقال الشيخ أحمد النجمي : الإنكار العلني على الولاة أمر محدث و لم يكن من أصول

---

(١) أخرجه مسلم في الصحيح (٢/٢٧رقم٤٩ـــ نووي) من حديث أبي سعيد الخدري ﷺ .

(٢) كتاب الأجوبة المفيدة (٢٤) .

(٣) أخرجه أحمد في المسند (٥/٤٢) والترمذي في السنن (٤/٤٣٥رقم٢٢٢٤) من حديث أبي بكرة ﷺ. والحديث صححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٢/٤٨٥رقم٢٢٢٤) .

(٤) مقاصد الإسلام ص٣٩٣ .

السنة فالنبي ﷺ يقول :" ألا من ولي عليه والٍ فرآه يأتي شيئاً من معصية الله ، فليكره ما يأتي ولا ينزعن يداً من طاعة"[1]. هكذا يقول نبي الله ﷺ إذن فلا يجوز الإنكار العلني على المنابر ؛ لأن الأضرار التي تترتب عليه أكثر من فائدته[2] اهـ .

والوجه الرابع : أن العلماء لا يذكرون ما يفعلونه مع الولاة للناس خوفاً من المفسدة **قال الشيخ ابن عثيمين – رحمه الله تعالى –** : "بيان ما نفعله مع الولاة فيه مفسدتان:

المفسدة الأولى : أن الإنسان يخشى على نفسه من الرياء فيبطل عمله .

المفسدة الثانية : أن الولاة لو لم يطيعوا صار حجة على الولاة عند العامة فثاروا وحصل مفسدة أكبر"اهـ[3].

والوجه الخامس : أنَّ ذكر أخطاء الولاة في المجالس والمواعظ والخطب محرم لا يجوز لما يلي :

- لأنها من باب إشاعة الفاحشة والله عز وجل يقول :﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ﴾ (النور:١٩).
- ولأنها غيبة وبهتان على ولي الأمر قال تعالى ﴿وَلاَ يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا﴾ (الحجرات : ١٢). وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ أَتَدْرُونَ مَا الْغِيبَةُ قَالُوا اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ ؟ قَالَ ذِكْرُكَ أَخَاكَ بِمَا يَكْرَهُ قِيلَ أَفَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ فِي أَخِي مَا أَقُولُ قَالَ إِنْ كَانَ فِيهِ مَا تَقُولُ فَقَدِ اغْتَبْتَهُ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِيهِ فَقَدْ بَهَتَّهُ" [4]. فنهى الله عز وجل ورسوله ﷺ عن الغيبة ولا شك أن الكلام في ولي الأمر من الغيبة في غيبته إن كان حقًّا فإن كان كذباً فهو من البهتان.

---

(١) أخرجه مسلم في الصحيح (١٢/٣٤٠رقم١٨٥٥ـــ نووي) .
(٢) الفتاوى الجلية (١٠) .
(٣) أسئلة حول لجنة الحقوق الشرعية ، ومدارك النظر (٢١١).
(٤) أخرجه مسلم في الصحيح (١٦/٢١٤رقم٢٥٨٩ـــ نووي) .

- ولأن هذه الصورة تدخل في القالة بين الناس مما يترتب عليها من الفتنة والبلبلة فعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ قَالَ إِنَّ مُحَمَّدًا ﷺ قَالَ :" أَلَا أُنَبِّئُكُمْ مَا الْعَضْهُ ؟ هِيَ النَّمِيمَةُ : الْقَالَةُ بَيْنَ النَّاسِ " [1] .

- ولأنها تؤدي إلى سفك الدماء وإلى القتل .قال عبد الله بن عكيم الجهني: **لا أعين على دم خليفة** أبداً بعد عثمان !! فقيل له : يا أبا معبد أَوَ أعنت على دمِهِ ؟ فيقول : **إني أُعِدُّ ذِكْرَ مساويه عوناً على دمِهِ!**"[2].

والوجه السادس : أن نشر هذه الأمور لا ريب أنه مما يسبب الفتنة قال شيخ الإسلام ابن تيمية : الفتنة إذا وقعت عجز العقلاء فيها عن دفع السفهاء ، وهذا شأن الفتن، كما قال تعالى ﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً﴾ (الأنفال : ٢٥)، وإذا وقعت الفتنة لم يسلم من التلوث بها إلا من عصمه الله"[3] اهـ

وقال الشيخ ابن باز – رحمه الله تعالى – : "توزيع الأشرطة الخبيثة التي تدعو إلى الفرقة والاختلاف وسب ولاة الأمور والعلماء لا شك أنها من أعظم المنكرات.

والواجب الحذر منها سواء كانت جاءت من لندن من الحاقدين والجاهلين الذين باعوا دينهم وباعوا أمانتهم على الشيطان من جنس محمد المسعري ومن معه الذين أرسلوا الكثير من الأوراق الضارة المضلة والمفرقة للجماعة يجب الحذر منهم ويجب إتلاف ما يأتي من هذه الأوراق لأنها شر وتدعو إلى الشر وما هكذا النصيحة .

فالنصيحة تكون بالثناء على ما فعل من الخير والحث على إصلاح الأوضاع والتحذير مما وقع من الشر هذه طريقة أهل الخير الناصحين لله ولعباده"[4] اهـ .

وقال الشيخ ابن عثيمين –رحمه الله تعالى – : " بعض الناس ديدنه في كل مجلس يجلسه الكلام في ولاة الأمور والوقوع في أعراضهم ونشر مساوئهم وأخطائهم معرضاً بذلك عمّا لهم من محاسن أو صواب ،ولا ريب أن سلوك هذا الطريق والوقوع في أعراض الولاة لا يزيد في الأمر إلا شدة فإنه لا يحل مشكلاً ولا يرفع مظلمة إنما يزيد البلاء بلاءً

(١) أخرجه مسلم في الصحيح (١٦/٢٤٠رقم٢٦٠٦ـــ نووي) .
(٢) أخرجه ابن سعد في الطبقات (٦/١١٥) .
(٣) منهاج السنة النبوية (٤/٣٤٣) .
(٤) مجموع الفتاوى والمقالات (٨/٤١٠-٤١١) .

ويوجب بغض الولاة وكراهيتهم وعدم تنفيذ أوامرهم التي يجب طاعتهم فيها "[1].

والوجه السابع : أن إشاعة هذه الأمور هو من باب الخروج على ولي الأمر.

قال الشيخ أحمد النجمي : "اعلم أن الخروج ينقسم إلى قسمين :

خروج بالقول وهو ذكر المثالب علناً في المجامع وعلى رءوس المنابر ؛ لأن ذلك يعد عصياناً لهم وتمرداً عليهم وإغراءً بالخروج عليهم وزرعاً لعدم الثقة فيهم وتهييجاً للناس عليهم وهو أساس للخروج الفعلي وسبب له"[2] اهـــ.

(١) وجوب طاعة السلطان للعريني ص٢٣-٢٤ .
(٢) المورد العذب الزلال (٢٠) .

الطعن الخامس

أن العلماء عملاء للدولة وأنهم مباحث

ومعنى هذا الطعن :

أن العلماء يعملون لصالح الدولة ،وأنهم ينقلون الأخبار لولاة الأمر .

وهذا الطعن باطل من وجوه :

الوجه الأول : إن كان المراد بأنهم يعملون للدولة أي أنهم يفتونهم بغير الحق مداهنة أو مضغوطاً عليهم ؛فعلماؤنا – بحمد الله – أهل دين وورع وتقوى ،وقد مرَّ الجواب على هذه الشبه الباطلة في الجواب عن الطعن الأول والثاني .

وإن كان المراد بأنهم يعملون في هذه الدولة فهل هذه الدولة كافرة !! ؟؟

ثم ما الفرق بينهم وبين كل من يعمل في هذه الدولة ، وهذه مغالطة تدل على خبث الطوية وسوء النية .نسأل الله العافية من الهوى والضلال .

قال الشيخ محمد أمان الجامي – رحمه الله تعالى – : محاولة التلبيس على الشباب ليعلنوا لهم أنهم هم العلماء وهم الدعاة وأن غيرهم مع السلطة .

افرض أننا ـــ جميعاً ـــ مع السلطة ، هل السلطة كافرة ؟

نحن مع السلطة والسلطة معنا . أنتم مع السلطة ، والسلطة معكم .

أين تعيشون أنتم ألستم تعيشون تحت هذه السلطة ،موظفون في هذه السلطة .

لماذا هذا الكذب ، من منكم بعيد عن السلطة ، تتعاملون معهم .

يا سبحان الله هل هي سلطة كافرة .

أما تحمد الله أنك تعيش تحت سلطة إسلامية يرجع حكامها وقضاتها عند إصدار الحكم إلى قال الله وقال رسول الله ﷺ .

لا يجوز هذا التلبيس ! راقبوا الله ربَّ العالمين ماهذا [1] ؟ اهـــ

وقال الشيخ أيضاً ـــ رحمه الله تعالى ـــ :ما يقوله بعض السفهاء في بعض طلاب العلم أن كل من يذكر الحكام بخير أو يدعو لهم أو يقول : إنها دولة إسلامية ؛ أنه من العملاء ومن كذا وكذا !

---

(١) النصيحة .

هذا كلام لا ينبغي أن يلتفت إليه . كلام ساقط لا يقوله إلا الساقطون .

نحن لا نخفي الولاء ، نعلن بالولاء ، فيجب أن نعلن ـــ نحمد الله ـــ أن كنا في ولاء حكام مسلمين لا نبالي من هذه الأقوال الرخيصة ولا نلتفت إليها وهكذا يجب على طلاب العلم وأهل الفضل ألاَّ يلتفتوا إلى مثل هذه الكلمات الساقطة وأن يكونوا صرحاء في الدعوة للحكام ومحاولة التقريب بين الراعي والرعية ليتحابوا ويتعاونوا هذا الذي ندين الله به[1] ا هـــ .

والوجه الثاني : أن قولهم فلان مباحث؛ هذا يدل على أن عندهم أمراً لا يريدون أن يطلع عليه أحد، وإلا فالحق واضح، والشرع والحكم بما أنزل الله قائم – بحمد الله تعالى – ومن عنده أمر مريب خاف من كل قريب .

والوجه الثالث : هل جهة المباحث جهة سيئة !!؟؟ هذه مغالطة ، فرجال هذه الجهة يراقبون الأوضاع الداخلية ، ويأخذون بيد كل مفسد يريد أن ينشر الفساد في الأرض،كل من تسول له نفسه قتل الأبرياء أوالاعتداء على الضعفاء ، أما من كان بعيداً عن الفساد في الأرض فرجال هذه الجهة لا علاقة لهم به ،فمن ديدنه دائماً فلان مباحث ، هذا رجل عنده أمر سيئ ؛ فساد وريبة يخاف أن يطلع عليه أحد .

والوجه الرابع : أن الواجب على كل مسلم مستطيع ، اطلع على من تسول له نفسه الفساد في الأرض أن يبلغ ولاة الأمر ليكفوا شره ،ويأخذوا بيده ،وينتشر الأمن ويعم الأمان . ومن كتم وسكت عن أمثال هؤلاء أهل الفساد والشر فقد خان الأمانة ، ولم ينصح لولي الأمر .

قال الشيخ صالح الفوزان – حفظه الله تعالى – معلقاً على قول عوف بن مالك – رادًّا على من قال : ما رأينا مثل قرائنا هؤلاء أرغب بطوناً ولا أكذب ألسناً ولا أجبن عند اللقاء – : كذبت ، ولكنك منافق ، لأخبرن رسول الله ﷺ فذهب عوف إلى رسول الله ليخبره فوجد القرآن قد سبقه"– : هذا من إنكار المنكر ، ومن النصيحة لولاة الأمور ، فالمسلم يبلغهم مقالات المفسدين والمنافقين من أجل أن يأخذوا على أيدي هؤلاء ؛ لئلا يخلوا بالأمن ويفرقوا الكلمة ، فتبليغ ولاة أمور المسلمين كلمات المنافقين ودعاة السوء ،

---

(١) (حقوق الإنسان ١/ب) .

الذين يريدون تفريق الكلمة ، والتحريش بين المسلمين ؛ هو من الإصلاح ومن النصيحة لا من النميمة[1] ؛ [لأن عوف بن مالك ﷺ فعل ذلك و لم ينكر عليه الرسول ﷺ فدل على أن هذا من النصيحة وليس من النميمة المذمومة] [2] ، [فلا يجوز التستر على من يبيت شرًّا للمسلمين ، بل يجب على من علم بحاله أن يخبر عنه ، حتى يسلم المسلمون من شره ، فإذا كان هناك خلية فيها خطر على المسلمين ، وفيها شر على المسلمين فيجب إبلاغ ولاة الأمور عنهم ليأخذوا على أيديهم ويكفوا شرهم عن المسلمين] [3].

وسئل الشيخ صالح الفوزان – حفظه الله تعالى – عن فتوى تقول بجواز قتل رجال المباحث ؛ لأنهم مرتدون ؟

فأجاب – حفظه الله تعالى – : هذا مذهب الخوارج ، فالخوارج قتلوا علي بن أبي طالب ﷺ ألا يقتل رجال الأمن ؟؟ هذا هو مذهب الخوارج ، والذي أفتاهم يكون مثلهم ومنهم نسأل الله العافية[4] .

---

(١) إعانة المستفيد (١٨٩/٢) .
(٢) إعانة المستفيد (١٩١/٢) .
(٣) (فتاوى العلماء في الأحداث الراهنة/تفجيرات الرياض) والفتاوى الشرعية للحصين (٩٦-٩٧) .
(٤) (فتاوى العلماء في الأحداث الراهنة/تفجيرات الرياض) والفتاوى الشرعية للحصين (٩٧) .

الطعن السادس

أن العلماء لا يفقهون الواقع

ومعنى هذا الطعن :

أن فتوى العلماء ضعيفة غير معتبرة ؛ لأنهم لا يعلمون ما يدار من حولهم ولا يعلمون بمخططات الأعداء لجهلهم بها .

وهذا الطعن باطل من وجوه :

الوجه الأول : أن هذا القول صادرٌ ممن لم يفقه في دين الله شيئاً **قال الشيخ عبد الرزاق عفيفي – رحمه الله تعالى** – : لا يجوز اتهام عالم من العلماء بأنه لا يفهم الواقع هذا تشويه ولا يصح أن يقال : إن العلماء أو بعض العلماء لا يدركون الواقع إذا كان الذهن ينصرف إلى علماء بعينهم [(١)].

وقال الشيخ حماد الأنصاري – رحمه الله تعالى – : إن الذي يقولون : إن العلماء في هذا العصر لا يفقهون الواقع قد أخطئوا في قولهم وهذه عبارة لا تنبغي [(٢)].

وقال الشيخ عبد العزيز بن باز – رحمه الله تعالى – : الواجب على المسلم أن يحفظ لسانه عما لا ينبغي وألاَّ يتكلم إلا عن بصيرة فالقول بأن فلاناً لم يفقه الواقع هذا يحتاج إلى علم ولا يقولها إلا من عنده علم حتى يستطيع الحكم بأن فلاناً لم يفقه الواقع . أما أن يقول هذا جزافاً ويحكم برأيه على غير دليل ؛ فهذا منكر عظيم لا يجوز والعلم بأن صاحب الفتوى لم يفقه الواقع يحتاج إلى دليل ولا يتسنى ذلك إلا للعلماء [(٣)].

وقال الشيخ صالح الفوزان – حفظه الله تعالى – : نسمع في زماننا هذا من يتكلم في أعراض العلماء ويتهمهم بالغباوة والجهل ، وعدم إدراك الأمور وعدم فقه الواقع كما يقولون وهذا أمر خطير ؛ فإنه إذا فقدت الثقة في علماء المسلمين فمن يقود الأمة الإسلامية ؟ ومن يرجع إليه الفتاوى والأحكام ؟ **واعتقد أن هذا دس من أعدائنا وأنه انطلى على كثير من الذين لا يدركون الأمور أو الذين فيهم غيرة شديدة وحماس لكنه على جهل** فأخذوه مأخذ الغيرة ومأخذ الحرص على المسلمين لكن الأمر لا يكون هكذا،

---

(١) فتاوى ورسائل الشيخ عبد الرزاق عفيفي (٦٢٧) .
(٢) المجموع في ترجمة حماد بن محمد الأنصاري (٢/٥٨٤) لعبد الأول بن حماد الأنصاري .
(٣) وجوب طاعة السلطان للعريني (٤٩- ٥١) .

أعز شيء في الأمة هم العلماء فلا يجوز أن نتنقصهم أو نتهمهم بالجهل والغباوة وبالمداهنة أو نسميهم علماء السلاطين أو غير ذلك ، هذا خطر عظيم يا عباد الله ، فلنتق الله في هذا الأمر ، ولنحذر من ذلك [1] .

وقال – حفظه الله تعالى – أيضاً : إن وجود المثقفين والخطباء المتحمسين لا يعوض الأمة عن علمائها ، وقد أخبر النبي ﷺ "أنه في آخر الزمان يكثر القراء ويقل الفقهاء"[2] ، وهؤلاء قراء وليسوا فقهاء ، فإطلاق لفظ العلماء على هؤلاء إطلاق في غير محله والعبرة بالحقائق لا بالألقاب ، فكثير من يجيد الكلام ويستميل العوام وهو غير فقيه . والذي يكشف هؤلاء أنه عندما تحصل نازلة يحتاج إلى معرفة الحكم الشرعي فيها فإن الخطباء والمتحمسين تتقاصر أفهامهم وعند ذلك يأتي دور العلماء . فلننتبه لذلك ونعطي علماءنا حقهم ونعرف قدرهم وفضلهم وننـــزل كلاً منزلته اللائقة به [3] .

والوجه الثاني : أن تعلم فقه الشرع هو المهم والضروري ؛ لأنه الأصل وغيره مبني عليه **قال الشيخ محمد ناصر الدين الألباني – رحمه الله تعالى –** : سمعنا ولاحظنا أنه وقع كثير من الشباب المسلم في حيص بيص نحو هذا النوع من العلم الذي سبقت الإشارة إلى تسميتهم له "بفقه الواقع" فانقسموا قسمين : وصاروا للأسف فريقين حيث إنه قد غلا البعض بهذا الأمر وقصر البعض فيه : إذ إنك ترى وتسمع ممن يفخمون شأن فقه الواقع ويضعونه في مرتبة عالية فوق مرتبته العلمية الصحيحة وأنهم يريدون من كل عالم بالشرع أن يكون عالماً بما سموه فقه الواقع !

كما أن العكس أيضاً حاصل فيهم فقد أوهموا السامعين لهم والملتفين حولهم أن كل من كان عارفاً بواقع العالم الإسلامي كمثل من هو فقيه في الكتاب والسنة وعلى منهج السلف الصالح !! **علماً بأن هذا الفقه** –كما أشرنا – **ليس بلازم** .

ونحن لا نتصور وجود إنسان كامل بكل معنى هذه الكلمة أي : أن يكون عالِمًا بكل هذه العلوم التي أشرت إليها وسبق الكلام عليها .

---

(١) محاضرات في العقيدة والدعوة (١٨٣/٢-١٨٤) وانظر منه (١٢٤/٣-١٢٥، ٤٣٥) .
(٢) أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط (٣١٩/٣رقم٣٢٧٧) والحاكم في المستدرك (٤٥٧/٤) من حديث أبي هريرة ﷺ . وقال الحاكم : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه .
(٣) محاضرات في العقيدة والدعوة (١٨٦/٢-١٨٧) .

فالواجب إذاً: تعاون هؤلاء الذين تفرغوا لمعرفة واقع الأمة الإسلامية وما يحاك ضدها مع علماء الكتاب والسنة وعلى نهج سلف الأمة فأولئك يقدمون تصوراتهم وأفكارهم وهؤلاء يبينون فيها حكم الله سبحانه ويقدمون للآخرين النصح القائم على الدليل الصحيح والحجة النيرة .

أما أن يصبح المتكلم في فقه الواقع في أذهان سامعيه واحداً من العلماء والمفتين لا لشـــيء إلا لأنه تكلم بهذا الفقه المشار إليه فهذا ما لا يحكم له بوجه من الصواب إذ يتخذ كلامه تكأة ترد بها فتاوى العلماء وتنقض فيه اجتهاداتهم .

ومن المهم بيانه في هذا المقام أنه قد يخطئ علاَّمةٌ ما في حكمه على مسألة معينة من تلك المسائل الواقعية وهذا أمر حدث ويحدث ولكن هل هذا يسقط العالم أو ذاك ويجعل المخالفين له يصفونه بكلمات نابية لا يجوز إيرادها عليه كأن يقال مثلاً – وقد قيل – : **هذا فقيه شرع وليس فقيه واقع !!!**

فهذه قسمة تخالف الشرع والواقع ! فكلامهم المشار إليه كله كأنه يوجب على علماء الكتاب والسنة أن يكونوا أيضاً عارفين بالاقتصاد والاجتماع والسياسة والنظم العسكرية وطرق استعمال الأسلحة الحديثة ونحو هذا وذاك !!

ولست أظن أن هناك إنساناً عاقلاً يتصور اجتماع هذه العلوم والمعارف كلها في صدر إنسان مهما كان عالماً كاملاً ![1] .

وقد سئل الشيخ محمد بن صالح العثيمين – رحمه الله تعالى – : يقع من بعض الناس هداهم الله تعالى التقليل من شأن العلماء بدعوى عدم فقه الواقع فما توجيه سماحتكم جزاكم الله خيراً ووفقكم لما يحبه ويرضاه ؟

فأجاب – رحمه الله تعالى – : لا شك أن فقه الواقع أمر مطلوب وأن الإنسان لا ينبغي أن يكون في عزلة عما يقع حوله وفي بلده بل لابد أن يفقه لكن لا ينبغي بأي حال من الأحوال أن يكون الاشتغال بفقه الواقع مشغلاً عن فقه الشريعة والدين الذي قال فيه الرسول ﷺ :"من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين"[2]. لم يقل يفقهه في الواقع فإذا كان عند

---

(١) سؤال وجواب حول فقه الواقع (٣٨-٤١) .

(٢) أخرجه البخاري في الصحيح(١/١٦٤رقم٧١-فتح) ومسلم في الصحيح (٧/١٧٩رقم١٠٣٧-نووي).

الإنسان علم بما يقع حوله لكنه قد صرف جهده وجل أمره إلى الفقه في دين الله فهذا طيب أما أن ينشغل بالواقع والتفقه فيه – كما زعم – والاستنتاجات التي يخالفها ما يقع فيما بعد ؛ **لأن كثيراً من المشتغلين بفقه الواقع يقدمون حسب ما تمليه عليهم مخيلتهم ويقدرون أشياء يتبين أن الواقع بخلافها** فإذا كان فقه الواقع لا يشغله عن فقه الدين فلا بأس به . لكن لا يعني ذلك أن نقلل من شأن علماء يشهد لهم بالخير وبالعلم وبالصلاح لكنهم يخفى عليهم بعض الواقع فإن هذا غلط عظيم فعلماء الشريعة أنفع للمجتمع من علماء فقه الواقع ولهذا تجد بعض العلماء الذين عندهم اشتغال كثير في فقه الواقع وانشغال عن فقه الدين لو سألتهم عن أدنى مسألة في دين الله – عز وجل – لوقفوا حيارى أو تكلموا بلا علم يتخبطون تخبطًا عشوائيًّا .

والتقليل من شأن العلماء الراسخين في العلم المعروفين بالإيمان والعلم الراسخ جناية ليس على هؤلاء العلماء بأشخاصهم بل على ما يحملونه من شريعة الله تعالى .

ومن المعلوم : أنه إذا قَلَّت هيبة العلماء وقَلَّت قيمتهم في المجتمع فسوف يقل بالتبع الأخذ عنهم وحينئذٍ تضيع الشريعة التي يحملونها أو بعضها ويكون في هذا جناية عظيمة على الإسلام وعلى المسلمين أيضاً .

والذي أرى أنه ينبغي أن يكون عند الإنسان اجتهاد بالغ ويصرف أكبر همه في الفقه في دين الله – عز وجل – حتى يكون ممن أراد الله بهم خيراً وألا ينسى نفسه من فقه الواقع وأن يعرف ما حوله من الأمور التي يعملها أعداء الإسلام للإسلام .

ومع ذلك أكرر: أنه لا ينبغي للإنسان أن يصرف جل همه ووقته للبحث عن الواقع بل أهم شيء أن يفقه في دين الله – عز وجل – وأن يفقه من الواقع ما يحتاج إلى معرفته فقط وكما أشرت سابقاً في أول الجواب : أن من فقهاء الواقع من أخطئوا في ظنهم وتقديراتهم وصار المستقبل على خلاف ما ظنوا تماماً .

لكن هم يقدرون ثم يبنون الأحكام على ما يقدرونه فيحصل بذلك الخطأ وأنا أكرر أنه لا بد أن يكون الفقيه بدين الله عنده شيء من فقه أحوال الناس وواقعهم حتى يمكن أن يطبق الأحكام الشرعية على مقتضى ما فهم من أحوال الناس ولهذا ذكر العلماء في باب القضاء : أن من صفات القاضي أن يكون عارفاً بأحوال الناس ومصطلحاتهم في كلامهم

وأفعالهم[1] .

وقال الشيخ صالح الفوزان – حفظه الله تعالى – : أما الاهتمام بالثقافات العامة والأمور الصحفية وأقوال الناس ، وما يدار في العالم ، فهذه إنما يطلع الإنسان عليها بعدما يتحصل على العلم الشرعي ويحقق العقيدة فيطلع على هذه الأمور من أجل أن يعرف الخير من الشر ومن أجل أن يحذر مما يدور في الساحة من شرور ودعايات مضللة ، لكن هذا بعدما يتسلح بالعلم ويتسلح بالإيمان بالله ورسوله ، أما أن يدخل في مجالات الثقافة والأمور الصحفية وأمور السياسة وهو على غير علم بعقيدته وعلى غير علم بأمور دينه ، فإن هذا لا ينفعه شيئاً ، بل هذا يضره بحيث يشتغل بما لا فائدة منه ، ولا يستطيع أن يميز الحق من الباطل كثير ممن جهلوا العقيدة واعتنوا بمثل هذه الأمور ضلوا ، وأضلوا ، ولبَّسوا على الناس ؛ بسبب أنهم ليس عندهم بصيرة وليس عندهم علم يميزون به بين الضار والنافع ، وما يؤخذ وما يترك ، وكيف تعالج الأمور ، فبذلك حصل الخلل ، وحصل اللبس عند كثير من الناس ؛ لأنهم دخلوا في مجالات الثقافة ، ومجالات السياسة ، من غير أن يكون عندهم علم بعقيدتهم وبصيرة من دينهم ، فحسبوا الحق باطلاً ، والباطل حقًّا[2] .

وقال أيضاً : وأما الاشتغال بواقع العصر كما يقولون أو فقه الواقع ، فهذا إنما يكون بعد الفقه الشرعي ؛ إذ الإنسان بالفقه الشرعي ينظر إلى واقع الناس وما يدور في العالم وما يأتي من أفكار ومن آراء ، ويعرضها على العلم الشرعي الصحيح ؛ ليميز خيرها من شرها ، وبدون العلم الشرعي ؛ فإنه لا يميز بين الحق والباطل والهدى والضلال ، فالذي يشتغل بادئ ذي بدء بالأمور الثقافية والأمور الصحافية والأمور السياسية ، وليس عنده بصيرة من دينه ؛ فإنه يضل بهذه الأمور ؛ لأن أكثر ما يدور فيها ضلال ودعاية للباطل وزخرف من القول وغرور نسأل الله العافية والسلامة[3] .

والوجه الثالث : أن علماءنا يدركون واقع المسائل التي يفتون بها ، ويدركون ما يحتاج إليه من واقع الناس **قال الشيخ أحمد بن يحيى النجمي – حفظه الله –** : أما فقه الواقع الذي ما زال هؤلاء يشقشقون به ويطنطنون فنحن نقول لهؤلاء : إن كنتم تريدون بفقه

---

(١) العلم (٢٢٤-٢٢٦) .
(٢) محاضرات في العقيدة والدعوة (٣/٣٧-٣٨) .
(٣) محاضرات في العقيدة والدعوة (٣/٤٢-٤٣) .

الواقع ما تترتب عليه الأحكام الشرعية وتتبين به الفتوى مما يكون مناطاً للحكم أو سبباً له أو وسيلة إليه فإن سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز وابن عثيمين وابن فوزان والغديان واللحيدان، والأطرم، وعبدالعزيز آل الشيخ . وغيرهم من القضاة أو المفتين لم يصدروا الحكم أو الفتوى إلا بعد أن يعرفوا الواقع الذي يحيط بها أو يؤثر فيها وإن كنتم تريدون بفقه الواقع الاطلاع على أسرار الدول وأخبار أهل العصر مما يكتب في الجرائد والمجلات أو تتناقله وسائل الإعلام أو يستنتجه المحللون السياسيون أو غير ذلك فإن لأهل العلم شغلاً بأعمالهم التي نيطت بهم وأوكلت إليهم من الفتوى والتدريس والدعوة إلى الله عزّ وجلّ ما لا يتسع معه لشيء آخر مع أنهم لهم قدرة محدودة وهذا من خصائص وزارة الدفاع في كل بلد أي التنبه لمكايد الأعداء ومخططاتهم والإعداد لكل أمر بما يناسبه [1].

وسئل – حفظه الله تعالى – أيضاً : ما حكم من قال : إن هيئة كبار العلماء لا يفقهون الواقع ؟

فأجاب – حفظه الله تعالى – :

أولاً : أقول ما هذه إلا فرية على هيئة كبار العلماء يقصد بها الطعن فيهم والإزراء عليهم والتحقير لشأنهم .

ثانياً : يدل هذا القول على ضغينة في قلب هذا القائل على هيئة كبار العلماء ، وبغضه لهم وكراهيته المستحكمة إياهم .

ثالثاً : أن من أبغض العلماء السلفيين – الذين يعملون بما قال الله ، وقال رسوله ، ويعملون [لعل الصواب:ويُعلمون]الناس بما قال الله ، وقال رسوله ، ويفتون بما قال الله ورسوله ويعملون على نشر الشريعة ليلاً ونهاراً – : فهو مبتدعٌ ضالٌ منافقٌ .

رابعاً : أن هيئة كبار العلماء في السعودية لا يحكمون في قضية ولا يفتون بفتوى إلا بعد أن يعرفوا ملابساتها ، وما يتعلق بها ، مما له تأثير في الفتوى ، وهذا هو الذي يلزم المفتي ، والقاضي فمن قال إنهم لا يعرفون فقه الواقع فقد اتهمهم بأنهم أغبياء جهلة ، لا يعرفون من الواقع شيئاً ، بل واتهم الدولة التي وضعتهم في هذه المناصب ، وهذا بهت لهم، وللدولة وفرية عليهم وعليها ، وظلم للجميع فالله يتولى جزاء من قاله بما يستحق .

---

(١) المورد العذب الزلال (٢٤٩– ٢٥٠) .

خامساً : ماذا يريدون من هيئة كبار العلماء ؟!! هل يريدون منهم أن يشاركوا المحللين السياسيين أو غيرهم من أصحاب التكهنات المبنية على الكذب والحدس والتخمين قاتل الله الهوى ما يفعل بأصحابه .

سادساً : هيئة كبار العلماء لهم شغل شاغل ، فيما نيط بهم من أعمال ، فلهم دروس ومحاضرات وفتاوى ، وتحقيقات علمية ، تستنفد جهدهم ووقتهم بما لا يحتاج إلى مزيد .

سابعاً : أن أصحاب البدع فيهم شبه من اليهود فمن كان معهم رفعوه فوق منزلته ، ومن خالفهم رموه بكل كارثة[1] .

والوجه الرابع : أن فقه الواقع مجرد تخيلات سياسية وتكهنات مستقبلية وآراء عقلية خالية من الحجة والبرهان **قال الشيخ حماد الأنصاري– رحمه الله تعالى–** : إن ما يسمى بفقه الواقع ليس بفقه وإنما –هو فقه المجانين وأعني بفقه المجانين : فقه الذين لا يفقهون وليس من الفقه التشويش وإدخال الناس في متاهات وأمور لا يهضمونها[2] .

وقال الشيخ ربيع بن هادي المدخلي :" إنّ من أغرب ما يقع فيه المتحمسون لفقه الواقع أنهم يقدّمونه للنّاس وكأنّه أشرف العلوم وأهمها، ولقد غلا فيه بعضهم غلوًّا شديدًا فجعل العلوم الشرعية من مقوماته، ونسج حوله من الهالات الكبيرة، بما لم يسبقه إليه الأولون والآخرون، وهو في حقيقته لا يسمى علماً ولا فقهاً، ولو كان علماً أو فقهاً فأين المؤلفات فيه؟! وأين علماؤه وفقهاؤه في السابق واللاحق؟! وأين مدارسه؟! لماذا لا يسمى علمًا ولا فقهًا إسلاميًّا؟ لأنه ذو أهداف سياسية خطيرة منها:

أ ـــ إسقاط المنهج السلفي ؛ لأن فقه الواقع لا يختلف عن مبدأ الصوفية في التفريق بين الشريعة والحقيقة؛ إذ هدفهم من ذلك إسقاط الشريعة.

ب ـــ الاستيلاء على عقول الشباب والفصل بينهم وبين علماء المنهج السلفي، بعد تشويه صورتهم بالطعون الفاجرة.

جـــ ـــ اعتماده على التجسس ، فالإخوان المسلمون وإن كانت لهم شبكات تجسس واسعة على أهل الحديث والسلفيين إلا أنهم يعجزون تمام العجز عن اكتشاف أسرار

---

(١) الفتاوى الجلية عن المناهج الدعوية (٣٨-٣٩) .

(٢) المجموع في ترجمة حماد بن محمد الأنصاري (٢/٧٦٥) لعبد الأول بن حماد الأنصاري .

الأعداء وإحباط خططهم، وواقعهم في مصر وسورية والعراق أكبر شاهد على ذلك.

د ــ أنه يعتمد على أخبار الصحف والمجلات التي تحترف الكذب ، وعلى المذكرات السياسية التي يكتبها الشيوعيون واليهود والنصارى والعلمانيون والميكافيليون وغيرهم من شياطين السياسة الماكرة، الذين من أكبر أهدافهم تضليل المسلمين ومخادعتهم واستدراجهم إلى بناء خطط فاشلة على المعلومات التي يقدّمونها.

هـ ــ من أركان هذا الفقه المزعوم التحليلات السياسية الكاذبة الفاشلة، وقد أظهر الله كذبها وفشلها، ولا سيما في أزمة الخليج.

و ــ أنه يقوم على تحريف نصوص القرآن والسنة، ويقوم على تحريف كلام ابن القيم في فقه الواقع.

ز ــ قيامه على الجهل والهوى حيث ترى أهله يرمون من لا يهتم بهذا الفقه بالعلمنة الفكرية والعلمية، وهذا غلو فظيع قائم على الجهل بالفرق بين فروض الكفايات وفروض الأعيان، لو سلمنا جدلاً أن هذا الفقه الوهمي من فروض الكفايات.

ح ــ يرتكز هذا العلم المفتعل على المبالغات والتهويل، حيث جُعلت علوم الشريعة والتاريخ من مقوماته، فأين جهابذة العلماء وعباقرتهم عن هذا العلم وعن التأليف والتدريس فيه والإشادة به والتخصص فيه وإنشاء الجامعات أو على الأقل أقسام التخصص فيه؟!

ط ــ ولما كان هذا الفقه بهذه الصفات الدميمة لم ينشأ عنه إلا الخيال والدواهي من الآثار، فمن آثاره تفريق شباب الأمة وغرس الأحقاد والأخلاق الفاسدة في أنصاره، من بهْت الأبرياء والتكذيب بالصدق وخذلانه وخذلان أهله، والتصديق بالكذب والترّهات، وإشاعة ذلك، والإرجاف في صورة موجات عاتية، تتحوّل إلى طوفان من الفتن التي ما تركت بيت حجر أو مدر أو وبر إلا دخلته. أما فقه الواقع الذي يحتفي به علماء الإسلام – ومنهم ابن القيم – والسياسة الإسلامية العادلة ، فمرحباً بهما وعلى الرأس والعين، وإن جهلهما وتنكَّر لهما الإخوان المسلمون "[1].

(١) أهل الحديث هم الطائفة المنصورة الناجية (٩٣ــ٩٥) .

الطعن السابع

أن العلماء لا يفقهون واقع الشباب وأنهم تركوا الشباب ولم يهتموا بأمرهم وأهملوهم حتى تولدت لديهم الأفكار المنحرفة فكفروا الناس وقاموا بعمليات التفجير

ومعنى هذا الطعن :

أن العلماء قصروا في تربية الشباب و لم يلقوا لهم بالاً وأن ما حصل للشباب سببه بُعْدُ العلماء عنهم .

وهذا الطعن باطل من وجوه :

الوجه الأول : نسألهم أين يعيش العلماء أفي السماء ، أم تحت الأرض ؟ العلماء يمشون على ظهر الأرض ، تأتي العالم في المسجد أو في بيته أو في مكتبه فتسأله في أي وقت حتى بالهاتف تتصل به تجده .

قال الشيخ صالح الفوزان – حفظه الله تعالى – : العلم له أبواب ، وله حملة ، وله معلمون ، فلا بد من انضمامكم لحلق التدريس ، سواء كانت في المساجد أو في المدارس أو في المعاهد أو في الكليات المهم أن نأخذ العلم عن العلماء ، ما داموا موجودين وما دامت الفرصة ممكنة[1] .

والوجه الثاني : هل تريدون من العالم أن يأتي إلى الشباب والأطفال ويبحث عنهم ويحاورهم ؟!

هذا سفه ؛ فالعلم يؤتى ولا يأتي فإن الأصل أن الشباب صغاراً وكباراً يلتفون حول العلماء ويتلقون عنهم أحكام دينهم .

والوجه الثالث : أن دروس العلماء قائمة ، ومحاضراتهم مستمرة ، وبيوتهم ومكاتبهم مفتوحة لمن أراد الاتصال بهم والتلقي منهم .

والوجه الرابع : أنكم أنتم – يا دعاة الصحوة – الذين ربيتم الشباب على هذه المناهج الفاسدة العفنة ، التي تخالف ما عليه السلف الصالح ومن تبعهم من أئمة الدعوة السلفية . ولما بينوا العلماء الحق وردوا المناهج الفاسدة وبينوا فسادها وكشفوا حال أصحابها ، انبريتم لهم بالتهم والألقاب الشنيعة ، و لم تقبلوا قول العلماء فيها ؛ فرددتم الحق ، وقبلتم

(١) محاضرات في العقيدة والدعوة (٤٣٣/٣) .

الباطل ودافعتم عن أهل البدع والضلال مدافعة مستميتة .

والوجه الخامس : أن الذين خرجوا على عثمان بن عفان ﷺ وصارت الفتنة التي حدثت ، هل الصحابة لم يقوموا بالبيان لهم ، عثمان لم ينصح لهم ؟! والله لقد نصحوهم غاية النصيحة لكن هؤلاء نفوسهم منحرفة من الأصل .

فهكذا هؤلاء الذين في هذا العصر قد جعل هؤلاء المربون بين الشباب والعلماء حاجزاً منذ القدم فربوهم على أمورٍ يطعنون بها على العلماء :

١- أن العلماء هؤلاء مباحث ، فإن لم يستطيعوا أن يطعنوا في العالم بأنه من المباحث ، قالوا : يحضر مجلس هذا العالم رجال من المباحث فلا تحضروا مجالسه .

٢- ثم طعنوا في العالم بقولهم : هؤلاء العلماء لا يفقهون الواقع ، ولا يفهمون ما يدار من حولهم ، وأنهم اشتغلوا عن القضايا المصيرية ، ما عندهم إلا الحيض والنفاس ودخول الشهر وخروجه[1] .

٣- أن العلماء لا تهمهم إلا وظائفهم والسيارات الفخمة فهم علماء دنيا ، علماء قول بلا عمل .

فإن قيل : لِمَ صرفوا الشباب عن العلماء ؟

فالجواب : أن من خطط دعاة الصحوة تنفير الشباب من العلماء وتزهيدهم فيهم ؛ لاحتواء الشباب وبث أفكارهم ولئلا يسمع الشباب من العلماء ما ينقض ويرد ويهدم مناهجهم ومذاهبهم الفاسدة ؛ لأن الشاب إذا سمع من العالم بخلاف ما يقوله المربي أو المنظم أو المرشد أو المشرف على الجماعة ؛ فسيرد كلامه فيؤثر في السمع والطاعة لهم .

وهذا المنع من سماع الحق هو عين ما فعله الخوارج حين منعوا اتباعهم من الاستماع لابن عباس ، فقالوا : لا تناظروه ؛ فإنه من قريش ، وقريش أهل لسان ، أي سيحرفكم

---

(١) علماً بأن الحيض تتعلق به أحكام بعض أركان الإسلام من الصلاة والصيام والحج – والله المستعان – لكن هذه عادة أهل البدع في طعنهم بأهل السنة ، قال أبو سعدة اليسع : تكلم واصل يوماً ، فقال عمرو بن عبيد: اسمعوا فما كلام الحسن وابن سيرين والنخعي والشعبي عندما تسمعون إلا خرق حيض مطروحة ". الضعفاء العقيلي (٢٨٥/٣) . وقال الشاطبي : روي أن زعيماً من زعماء أهل البدعة كان يريد تفضيل الكلام (يعني ما يسمى بعلم الكلام) على الفقه ، فكان يقول : إن علم الشافعي وأبي حنيفة جملته لا يخرج عن سراويل امرأة ، يعني أحكام الحيض والنفاس . الاعتصام (٢٣٩/٢) .

إلى ما هو عليه .

فهؤلاء الدعاة الحركيون كانوا يخشون من هذا الأمر ؛ فجعلوا العقبة والسد المنيع بين العالم والشباب من قديم ؛ لذلك لا يستغرب عندما نرى حضور عدد قليل من الشباب في دروس العلماء ومحاضراتهم ، وحضور الجم الغفير من الشباب مما قد لا تتسع له المساجد الكبيرة في محاضرات دعاة الصحوة ودروسهم .

قال الشيخ صالح الفوزان – حفظه الله تعالى – : كم يحاول أعداء الإسلام وكم يحاول شياطين الإنس والجن أن يفصلوا بين الأمة وبين علمائها ، وأن يوقعوا العداوة بينهم من أجل أن يتمكن الأشرار من قيادة الأمة إلى الهلاك ، فلنحذر من هذا ونقبل على طلب العلم من أهله العلماء ، ونسأل أهل العلم إذا أشكل علينا شيء في أمور ديننا وأمور دنيانا، نسأل أهل العلم أهل البصيرة الذين يتكلمون عن علم ويفتون عن الدليل ، هؤلاء المرجع وهؤلاء هم القدوة وهؤلاء هم الدعاة إلى الخير ، لا نزهد فيهم ؛ لأنه في هذا الوقت كثر القيل والقال والوقيعة بين أهل العلم وبين الناس ، وبين العوام وبين طلبة العلم وصاروا يتكلمون في العلماء ، ويتهمونهم اتهامات ويروجون عليهم الأكاذيب من أجل أن يفصلوا بين الأمة وعلمائها ، حتى يسهل عليهم الدخول في شبهاتهم وضلالتهم في إغواء الناس وتفريق الكلمة ، هذا ما يريدونه فلنكن منهم على حذر[1] .

وقال – حفظه الله تعالى – أيضاً : بعض المخدوعين أو المغرضين يقول هؤلاء علماء الحيض والنفاس !! ؛ للتهوين من شأنهم ، وهذا ما يريد الأعداء من المسلمين؛ يريدون أن يفصلوا العامة عن العلماء ويريدون أن يفصلوا شباب الأمة عن العلماء بحيث لا يتعلمون العلم من العلماء ، وعند ذلك تسنح لهم الفرصة ؛ لتقطيع جسم الأمة والسطو عليه؛ لأنه لا يقف في وجوههم إلا العلماء فإذا حالوا بين العلماء وبين الشباب وبين عامة الناس وعزلوا بعضهم عن بعض حينئذٍ سنحت الفرصة لأعداء الله ورسوله للانقضاض على أمة المسلمين وما كان يقف في وجوه الظلمة وما كان يقف في وجوه الكفار والزنادقة والمنافقين إلا أهل العلم يبطلون شبهاتهم ويدمغون أقوالهم بالكتاب والسنة يوقفونهم عند

(١) محاضرات في العقيدة والدعوة (٣/٣٠٩-٣١٠) .وانظر : رسالة حكم الخرجات والمراكز الصيفية .

حدهم ويردون عليهم الشبهات[1].

والوجه السادس : أن الذي أوقع الشباب في هذا الانحراف الخطير – بعد إبعادهم عن العلماء – تربيتهم على الكتب الفكرية المليئة بالبدع والضلال[2] .

فقد سئل الشيخ محمد بن عثيمين – رحمه الله تعالى – : عندنا بعض الإخوة ينصحون من حولهم من الشباب بالحرص على قراءة كتب سيد قطب وحسن البنا وأن يهتموا بها اهتماماً كبيراً ! فهل ما يقومون به من هذا العمل صحيح ؟

فأجاب – رحمه الله تعالى – : لا . غير صحيح ، الصحيح أن يدلهم على الكتاب والسنة، وعلى كتب شيخ الإسلام وابن القيم .

وسئل – رحمه الله تعالى – أيضاً : ما هو قول سماحتكم في رجل ينصح الشباب السني بقراءة كتب سيد قطب ويخص منها "في ظلال القرآن" و"معالم في الطريق" و"لماذا أعدموني" دون أن ينبه على الأخطاء والضلالات الموجودة في هذه الكتب ؟

فأجاب – رحمه الله تعالى – : أنا أرى – بارك الله فيك – أن من كان ناصحاً لله ولرسوله وللمسلمين أن يحث الناس على قراءة كتب الأقدمين في التفسير وغير التفسير فهي أبرك وأنفع وأحسن من كتب المتأخرين .

وأما تفسير سيد قطب – رحمه الله – **ففيه طوام** ، لكن نرجو الله أن يعفو عنه ، **فيه طوام ، كتفسيره الاستواء وكتفسير سورة قل هو الله أحد ، وكذلك وصف بعض الرسل بما لا ينبغي أن يصفه به**[3] .

قال الشيخ صالح الفوزان – حفظه الله تعالى – : يوم أن كان أهل هذه البلاد مرتبطين بعلمائهم ، شباباً وشيباً ، كانت الحالة حسنة ومستقيمة ، وكانت لا تأتي إليهم أفكار من الخارج وكان هذا هو السبب في الوحدة والتآلف ، وكانوا يثقون بعلمائهم وقادتهم وعقلائهم وكانوا جماعة واحدة ، وعلى حالة طيبة ، حتى جاءت الأفكار من

---

(١) محاضرات في العقيدة والدعوة (١٢٥/٣) .

(٢) والفكر الإسلامي : هذه الكلمة تعني ما يفرزه العقل من الأفكار . والإسلام وحي ليس بفكر والفكر ليس بمعصوم . وكذا كلمة التصور الإسلامي : ؛لأن التصور مصدره الفكر المحتمل للصدق والكذب وقد أنكرها العلامة ابن باز – رحمه الله تعالى – كما في الفتاوى (٢٣٥/٩)وكذا الشيخ ابن عثيمين كما في الفتاوى (٨١/٣، ٩٩، ١٢٠) .

(٣) (الفتوتان موجودتان في : التوجيهات السلفية في قضايا منهجية) (١/أ)و(٢/أ).

الخارج على سبيل الأشخاص القادمين أو عن سبيل بعض الكتب أو بعض المجلات أو بعض الإذاعات وتلقاها الشباب وحصلت الفرقة ؛ لأن هؤلاء الشباب الذين شذوا عن المنهج السلفي في الدعوة ، إنما تأثروا بهذه الأفكار الوافدة من الخارج . أما الدعاة والشباب الذين بقوا على صلة بعلمائهم ، ولم يتأثروا بهذه الأفكار الواردة فهؤلاء – الحمد لله – على استقامة كسلفهم الصالح ، **فالسبب في هذه الفرقة يرجع إلى الأفكار والمناهج الدعوية من غير علماء هذه البلاد ، من أناس مشبوهين أو أناس مضللين؛** يريدون زوال هذه النعمة التي نعيشها في هذه البلاد من أمن ، واستقرار ، وتحكيم للشريعة، وخيرات كثيرة في هذه البلاد ، لا توجد في البلاد الأخرى ، ويريدون أن يفرقوا بيننا ، وأن ينتزعوا شبابنا ، وأن يتزعوا الثقة من علمائنا ، وحينئذٍ يحصل – والعياذ بالله – ما لا تحمد عقباه ، **فعلينا علماء ودعاة وشباباً وعامة بألاَّ نتقبل الأفكار الوافدة ، ولا المبادئ المشبوهة حتى وإن تلبست بلباس الحق والخير – لباس السنة –** فنحن لسنا على شك من وضعنا – ولله الحمد – نحن على منهج سليم وعلى عقيدة سليمة وعندنا كل خير – ولله الحمد – فلماذا نتلقى الأفكار الواردة من الخارج ، ونروجها بيننا وبين شبابنا؟؟ فلا حل لهذه الفرقة إلا بترك هذه الأفكار الوافدة ، والإقبال على تنمية ما عندنا من الخير والعمل به والدعوة إليه ، نعم عندنا نقص ، وبإمكاننا أن نصلح أخطاءنا ، من غير أن نستورد الأفكار المخالفة للكتاب والسنة وفهم السلف من الخارج أو من ناس مشبوهين – وإن كانوا في هذه البلاد – أو مضللين ، الوقت الآن وقت فتن ، فكلما تأخر الزمان تشتد الفتن ، عليكم أن تدركوا هذا ولا تصغوا للشبهات ، ولا لأقوال المشبوهين والمضللين الذين يريدون سلب هذه النعمة التي نعيشها ، ونكون مثل البلاد الأخرى في سلب ونهب وقتل وضياع حقوق وفساد عقائد ، وعداوات ، وحزبيات .

وأقول لا يقع في أعراض العلماء المستقيمين على الحق إلا أحد ثلاثة : إما منافق معلوم النفاق ، وإما فاسق يبغض العلماء ؛ لأنهم يمنعونه من الفسق ، وإما حزبي ضال يبغض العلماء ؛ لأنهم لا يوافقونه على حزبيته وأفكاره المنحرفة[1]**.**][2].

---

(١) الأجوبة المفيدة (٤٩-٥١) . وهذه الأوجه مستفادة من جلسة علمية للشيخ محمد بن هادي المدخلي حفظه الله تعالى.

(٢) هذا نهاية ما نقلته بطوله من بداية المقصد الرابع حتى هنا، وهو من كتاب "المدارج في كشف شبهات =

المقصد الخامس

من له حق الفتوى وخطر الإفتاء بغير علم

[إن الفتوى دين ، وهي توقيع عن رب العالمين وبالتالي لا يصح أخذها إلا من الفقهاء المتمكنين، والعلماء العاملين، فما كل من شدا العلم صار عالما، ولا كل من اعتزى إليه بات بحق الفتوى قائما ، وقديما قال محمد بن سيرين رحمه الله تعالى : "إن هذا العلم دين ، فانظروا عمن تأخذون دينكم"(١) .

فالفتاوى الخاطئة ، أو الصادرة عن غير أهلها تترك آثارا سيئة وأضرارا في الفرد والمجتمع فادحة منها :

أ- التعدي على حدود الله : فما أفدح الخطب حين تنتهك حرمات الله بفتاوى جائرة تنسب إلى دين الله .

قال الله تعالى ﴿ **وَلاَ تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلاَلٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُوا عَلَى اللهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللهِ الْكَذِبَ لاَ يُفْلِحُونَ** ﴾

وقال عز شأنه ﴿ **قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا بِاللهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ** ﴾ [الأعراف: ٣٣].

ب- الجرأة على دين الله : إن أخذ الفتوى عن غير أهلها يسوق المستفتي إلى الجرأة على دين الله ، فلا تبقى لله تعالى في قلبه رقابة ولا إلى الحق تعالى في نفسه إنابة فيرتكب ما سأل عنه بفتوى جائرة ثم يتدهده من قلة الخشية وظلمة المعصية من ذنب إلى آخر حتى تهوي به أهواؤه في مكان سحيق .

ج- شيوع الباطل وإلباسه لبوس الحق : وذلك من التلبس على الخلق والطمس لمعالم الحق ﴿ **قُلْ هَلْ مِن شُرَكَائِكُم مَّن يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ قُلِ اللهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ أَفَمَن يَّهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لاَّ يَهِدِّي إِلاَّ أَن يُهْدَى فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ .وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلاَّ ظَنًّا إِنَّ الظَّنَّ لاَ يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ** ﴾ [يونس: ٣٥، ٣٦].

=

للخوارج"، لفضيلة الشيخ أحمد بازمول جزاه الله خيراً، والهوامش في التعليقات فيه له.

(١) أخرجه مسلم في المقدمة ، والدارمي رقم ٤٢٥.

د- الضلال عن صراط الله العزيز الحميد : إن الخير كل الخير في اتباع سلف الأمة ومنهجهم القائم على الكتاب والسنة ، وفي ذلك صلاحها في الدنيا ونجاتها في الآخرة ورحم الله من قال .

وكل خير في اتباع من سلف وكل شر في ابتداع من خلف

فإذا تقلد الإنسان العلم عن غير أهله ضل عن الطريق ، فقد روى الشيخان[1] من حديث عَبْدَ اللّهِ بْنَ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ يَقُولُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللّهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنّ اللّهَ لاَ يَقْبِضُ الْعِلْمَ انْتِزَاعاً يَنْتَزِعُهُ مِنَ النّاسِ. وَلَكِنْ يَقْبِضُ الْعِلْمَ بِقَبْضِ الْعُلَمَاءِ. حَتّىَ إِذَا لَمْ يَتْرُكْ عَالِماً، اتّخَذَ النّاسُ رءوسًا جُهّالاً، فَسُئِلُوا فَأَفْتَوْا بِغَيْرِ عِلْمٍ. فَضَلّوا وَأَضَلّوا».

هـ- الانصراف عن العلماء العاملين والفقهاء المتمكنين : وما أكثر هذه الظاهرة في هذه الأيام حتى صرنا نرى العامة تشيخ كل من طر عذاره ، أو ارتفع في النار مناره بله من علا بالوعظ صوته ، أومن أثر فيهم حاله وسمته ، فيتخذونه في أمور دينهم مفتيا ، ولحل خصوماتهم قاضيا ، مما أدى إلى التسور على الدين ، والافتراء على أئمة المسلمين ، حتى بات صوت الحق في بعض الأجواء نشازا ، ولا يجد إلا إلى الله تعالى ملاذا .

قال ابن القيم رحمه الله: "تالله إنها فتنة عمت فأعمت ، ورمت القلوب فأصمت، ولما عمت بها البلية ، وعظمت بسببها الرزية ، فإن طالب الحق من مظانه لديهم مفتون، ومؤثره على ما سواه عندهم مغبون"اهـ[2] فإنا لله وإنا إليه راجعون .

تحريم القول على الله تعالى بغير علم :

بما أن الفتوى بيان لأحكام الله ، والمفتي في ذلك موقع عن الله فإن القول على الله تعالى بغير علم من أعظم الحرمات لما فيه من جرأة وافتراء على الله وإغواء وإضلال للناس، وهو من كبائر الإثم .

أما أنه من كبائر الإثم فلقول الحق تبارك وتعالى ﴿ **قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا بِاللهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ** ﴾ [الأعراف: ٣٣].

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب العلم باب كيف يقبض العلم، حديث رقم (١٠٠)، ومسلم في كتاب العلم باب رفع العلم وقبضه وظهور الجهل والفتن، حديث رقم (٢٦٧٣).

(٢) إعلام الموقعين ١/٨.

فقد قرن الله تعالى القول عليه بغير علم بالفواحش الظاهرة والباطنة والإثم والبغي والشرك للدلالة على عظم هذا الذنب وقبح هذا الفعل .

قال ابن القيم : "وقد حرم الله سبحانه القول عليه بغير علم في الفتيا والقضاء ، وجعله من أعظم المحرمات بل جعله في المرتبة العليا منها ، وبعد أن ساق الآية التي أوردناها قال: فرتب المحرمات أربع مراتب :

وبدأ بأسهلها وهو الفواحش.

ثم ثنى بما هو أشد تحريما منه وهو الإثم والظلم.

ثم ثلث بما هو أعظم تحريما منها وهو الشرك به سبحانه.

ثم ربع ما هو أشد تحريما من ذلك كله وهو القول عليه بلا علم، وهذا يعم القول عليه سبحانه بلا علم في أسمائه وصفاته وأفعاله وفي دينه وشرعه.

ومما يدل أيضا على أنه من كبائر الإثم قول الله تعالى : ﴿**وَلاَ تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلاَلٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُوا عَلَى اللهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللهِ الْكَذِبَ لاَ يُفْلِحُونَ .مَتَاعٌ قَلِيلٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ**﴾ [النحل : ١١٦، ١١٧] .

فتقدم إليهم سبحانه بالوعيد على الكذب عليه في أحكامه ، وقولهم لما لم يحرمه : هذا حرام ، ولما لم يحله : هذا حلال ، وهذا بيان منه سبحانه أنه لا يجوز للعبد أن يقول هذا حلال وهذا حرام إلا بما علم أن الله سبحانه وتعالى أحله وحرمه"اهـ[1] .

هذا ما يتعلق بكونه من كبائر الإثم .

وأما كونه إغواء وإضلالا للناس فلما روى الشيخان من حديث عَبْد اللّهِ بْنَ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ يَقُولُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللّهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: «إِنّ اللّهَ لاَ يَقْبِضُ الْعِلْمَ انْتِزَاعاً يَنْتَزِعُهُ مِنَ النّاسِ. وَلَكِنْ يَقْبِضُ الْعِلْمَ بِقَبْضِ الْعُلَمَاءِ. حَتّىَ إِذَا لَمْ يَتْرُكْ عَالِماً، اتّخَذَ النّاسُ رءوسًا جُهّالاً، فَسُئِلُوا فَأَفْتَوْا بِغَيْرِ عِلْمٍ. فَضَلّوا وَأَضَلّوا» [2] .

لهذا هاب الفتيا كثير من الصحابة وتدافعوها بينهم لما جعل الله في قلوبهم من الخوف والرقابة.

عن عبد الرحمن بن أبي ليلى قال : "أدركت عشرين ومائة من الأنصار من أصحاب

---

(١) إعلام الموقعين : ٣٨/١.

(٢) سبق تخريجه.

رسول الله ﷺ يسأل أحدهم عن المسألة فيردها هذا إلى هذا وهذا إلى هذا حتى ترجع إلى الأول" وفي رواية : "ما منهم من أحد يحدث بحديث إلا ود أخاه كفاه إياه ، ولا يُستفتى عن شيء إلا ود أن أخاه كفاه الفتيا"[(١)].

وعن الشعبي والحسن وأبي حَصين -بفتح الحاء- قالوا : "إن أحدكم ليفتي في المسألة لو وردت على عمر بن الخطاب ﷺ لجمع لها أهل بدر"[(٢)] .

وقد كان كثير من السلف الصالح إذا سئل عن مسألة لا يعلم حكمها قال للسائل لا أدري، أو قال : الله أعلم.

وقال ابن مسعود ﷺ: "من كان عنده علم فليقل به ، ومن لَم يكن عنده علم فليقل: الله أعلم ، فإن الله قال لنبيه : ﴿ **قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ** ﴾ (ص: ٨٦)"اهـ[(٣)] .

وروى الحافظ ابن الصلاح بسنده إلى محمد بن عبد الله الصفار أنه قال : سمعت عبد الله بن حنبل يقول : سمعت أبي يقول : سمعت الشافعي يقول : سمعت مالك بن أنس يقول : سمعت محمد بن عجلان يقول : "إذا أغفل العالم لا أدري أصيبت مقاتله".

وقد عقب ابن الصلاح على هذا الأثر بقوله : "هذا إسناد جليل عزيز جدا لاجتماع أئمة المذاهب الثلاثة فيه بعضهم عن بعض"اهـ[(٤)] .

وروى مالك مثل ذلك عن ابن عباس رضي الله عنهما[(٥)] .

وقال عبد الرحمن بن مهدي : "جاء رجل إلى مالك بن أنس يسأله عن شيء أياما ما يجيبه فقال: يا أبا عبد الله إني أريد الخروج، وقد طال التردد إليك، قال : فأطرق طويلا، ثم رفع رأسه ، فقال : ما شاء الله يا هذا ، إني إنما أتكلم فيما أحتسب فيه الخير، ولست

---

(١) أخرجه ابن سعد في الطبقات الكبرى ١١٠/٦ ، والدارمي في السنن ٥٣/١ ، وابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله ١٧٧/١ معزوًا للبراء .

(٢) المجموع ٤٠/١ وأدب المفتي والمستفتي ص ٧٦ ، وكنز العمال ٢٤١/٥ ، وشرح السنة للبغوي ٣٠٥/١ ، وسير أعلام النبلاء ٤١٦/٥ ، وصفة الفتوى لابن حمدان ص ٧.

(٣) إعلام الموقعين ١٨٥/٢.

(٤) أدب المفتي و المستفتي ص/٦٧-٧٧ ، وجامع بيان العلم وفضله ٥٤/٢ ، والفقيه والمتفقه ١٧٣/٢ ، وأدب الشافعي ص١٠٧ ، والانتقاء لابن عبد البر ص٣٧، ٣٨ ، وكشف الخفاء ٣٤٧/٢ ، والآداب الشرعية ٧٩/٢، وبدائع الفوائد ٢٧٦/٣ ، وترتيب المدارك ١٤٦/١.

(٥) صفة المفتي والمستفتي ص٧٧ ، والانتقاء ص٣٨ ، وجامع بيان العلم وفضله ٥٤/٢ ، وتذكرة السامع ص٤٢ ، والمجموع ٤٠/١.

أحسن مسألتك هذه"[١] .

وعن أبي بكر الأثرم قال : "سمعت أحمد بن حنبل يُستفتى فيكثر أن يقول : لا أدري، وذلك فيما قد عرف الأقاويل فيه"[٢] .

وعن الهيثم بن جميل قال : "شهدت مالك بن أنس سئل عن ثمان وأربعين مسألة فقال في اثنتين وثلاثين منها : لا أدري"[٣] .

وقد سئل الإمام مالك عن مسألة فقال : لا أدري فقيل له : إنها مسألة خفيفة سهلة، فغضب وقال : ليس في العلم شيء خفيف ، أما سمعت قوله جل ثناؤه ﴿ **إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلا ثَقِيلاً** ﴾ (المزمل:٥) فالعلم كله ثقيل ، وبخاصة ما يسأل عنه يوم القيامة .

وقال : إذا كان أصحاب رسول الله ﷺ تصعب عليهم مسائل ولا يجيب أحد منهم في مسألة حتى يأخذ رأي صاحبه مع ما رزقوا من السداد والتوفيق مع الطهارة فكيف بنا الذين قد غطت الخطايا والذنوب قلوبنا"[٤]][٥].

---

(١) صفة المفتي والمستفتي ص ٧٩ ، والحلية ٣/٣٢٣ ، وصفة الفتوى والمفتي ص٨.
(٢) صفة المفتي والمستفتي ص ٧٩ ، والفقيه والمتفقه ٢/١٧٤ -١٧٥ وصفة الفتوى والمفتي ص ٨.
(٣) صفة المفتي والمستفتي ص ٧٩ ، والانتقاء ص ٣٨ ، وترتيب المدارك ١/١٤٦ ، وسير أعلام النبلاء ٨/٧٧ ، وصفة الفتوى ص ٨.
(٤) صفة المفتي والمستفتي : ص٨٠.
(٥) من أول المقصد إلى هنا، نقلته من كتاب "مسئولية الفتوى الشرعية و ضوابطها و أثرها في رشاد الأمة"، لفضيلة الشيخ الدكتور/ محمد فؤاد البرازي سلمه الله، وجزاه الله خيراً/ من الانترنت/. بتصرف يسير واختصار. والهوامش له، إلا بعضها،

الخاتمة

وختاماً :

اعلم أيها الأخ – وفقني الله وإياك لما يحبه ويرضاه – أن غاية هذه المقاصد، إنما هو تأكيد لزوم العلماء، والأخذ عنهم، والحرص على مجالسهم، فإن مجالس العلماء [تفيد الحكمة. وبأعمالهم يتزجر أهل الغفلة. وهم أفضل من العُبّاد. وأعلى درجة من الزُّهّاد. حياتهم غنيمة. وموتهم مصيبة. يذكرون الغافل. ويعلمون الجاهل. لا يتوقع لهم بائقة. و لا يخاف منهم غائلة.

بحسن تأديبهم يتنازع المطيعون. وبجميل موعظتهم يرجع المقصرون. جميع الخلق إلى علمهم محتاج. والصحيح على من خالف بقولهم محجاج. الطاعة لهم من جميع الخلق واجبة. والمعصية لهم محرمة. من أطاعهم رشد. ومن عصاهم عند. ما ورد على إمام المسلمين من أمر اشتبه عليه، حتى وقف فيه، فبقول العلماء يعمل، وعن رأيهم يصدر. وما ورد أمراء المسلمين من حكم لا علم لهم به بقولهم يعملون، وعن رأيهم يصدرون. وما أشكل على قضاة المسلمين من حكم فبقول العلماء يحكمون، وعليه يعولون؛ فهم سرج العباد. ومنار البلاد. وقوام الأمة. وينابيع الحكمة. هم غيظ الشيطان.

بهم تحيا قلوب أهل الحق، وتموت قلوب أهل الزيغ.

مثلهم في الأرض كمثل النجوم في السماء، يهتدى بها في ظلمات البر والبحر، وإذا انطمست النجوم تحيروا، وإذا أسفر عنها الظلام أبصروا][1].

﴿إِنْ أُرِيدُ إِلاَّ الإِصْلاَحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلاَّ بِاللهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ (هود: ٨٨).

تمت

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وصل اللهم على محمد وعلى آله وصحبه وسلم. سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك.

(١) ما بين معقوفتين من كلام الآجري رحمه الله في مقدمة كتابه أخلاق العلماء ١٠ــ١١.